عصر صدر الإسلام

أحداث العصر – الشعراء – مختارات من الشعر

دكتور

نعمان عبد السميع متولي

دار العلم و الإيمان للنشر و التوزيع

٨١١.٢
م . ن

متولي، نعمان عبد السميع .

الإسلام أحداث العصر - الشعراء – مختارات من الشعر / نعمان عبد السميع متولى.- ط١.- دسوق : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع ،

٣٢٠ ص ؛

تدمك : ٧ ـ ٤٦٧ ـ ٣٠٨ ـ ٩٧٧ ـ ٩٧٨

١. شعراء العربي – تاريخ – عصر صدر الإسلام

أ - العنوان .

رقم الإيداع : ١٧٧٢٧

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة

هاتـف. فاكس : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ - هاتف: ٠٠٢٠٤٧٢٥٦٢٠٢٣

E-mail: elelm_aleman@yahoo.com

elelm_aleman@hotmail.com

فهرس الموضوعات

مقدمة

انتقل عصر صدر الإسلام بالحياة انتقاله طيبة ، سادت فيها المودة والتآلف والتضامن الاجتماعي انطلاقا من الدعوة الجديدة وسادها التعاون وفقا لتعاليم الدين الجديد ،وبرزت على السطح مفاهيم الإخاء ، والحق ، والعدالة ، ونصرة الضعيف ، والهداية ،والتقوى والعمل الصالح ،والأمر بالمعروف ،والنهي عن المنكر، وفي وجود هذه القيم تغيرت طباع العرب إلى ما هو أرقى وأفضل فأضيفت هذه الصفات إلى ما كان فيه من كرم ،وشجاعة ، وحرص على نجدة المحتاج وإغاثته ،وابتعدوا عما كان موجودا من ذميم الصفات كالإغارة على القبائل الأخرى ، وما يترتب عليه من السلب والنهب ، والاعتداء والظلم ، كما ابتعدوا عن وأد البنات والقتل ..إلخ . وفي ظل هذا المجتمع ارتقت لغة الحديث ورقت الكلمات ، وصار للشعر لغة سامية ، صحيح أنه احتفظ بجزالته وقوته – وهذا أمر طبيعي – لكون عصر صدر الإسلام امتداد للعصر الجاهلي ، ومع ذلك دخلت لغة الشعر كلمات لم

يكن للعرب السابقين عهد بها ، كالثواب والعقاب والجنة والنار ويوم البعث والآخرة والعمل الصالح وغيرها من الصفات التي جاء بها القرآن الكريم .واتجهت رسالة الشعر وهدفه إلى إرساء قواعد الدين الجديد والدفاع عن الدين الإسلامي ومدح المسلمين ونبيهم محمد ﷺ والتصدي لهجمات

الشعراء المشركين ،وتعديهم على المسلمين بسيء القول. وعبر صفحات هذا الجزء نتحدث عن طبيعة عصر صدر الإسلام وما فيه من أحداث ،ونورد حديثا مطولا يضم شعراء هذا العصر ومختارات من مشهور قصائدهم ،ولا ندعي سبقا في هذا المجال ، فقد سبقنا إليه أساتذة وعلماء أجلاء نهلنا من موفور علمهم ومعرفتهم ؛ ولكننا نعرض للموضوع نفسه من خلال

تصورنا وترتيبنا ، والله تعالى نسأل أن يوفقنا إلى الخير والرشاد .

دكتور

نعمان عبد السميع متولي

طبيعة العصر

صدر الإسلام هو مصطلح يطلق على السنوات الأولى للإسلام وتشمل تلك الفترة الممتدة بين بعثة نبي الإسلام محمد بن عبد الله ﷺإلى آخر أيام الخلفاء الراشدين، والتي انتهت بنهاية الخليفة الرابع علي بن أبي طالب عام ٤٠ هـ وقيام الدولة الأموية بعدها.

العرب قبل الإسلام

لم تكن للعرب دولة بمفهومها وكيانها الموجود الآن فقد كان العرب قبيل الإسلام أمة متفرقة لا يحكمهم إلا قانون القبيلة ، ولم تكن هناك مرجعية قانونية عامة يؤمن بها العرب جميعا تحفظ حقوقهم وتمنع الحروب والاعتداءات الجاهلية التي أنهكت الموارد الاقتصادية والبشرية في جزيرة العرب ، حتى جاء الإسلام بتعاليمه وسماحته وقوانينه وما يحمل في طياته من مفاهيم الدولة وأسس المجتمع .

وينقسم صدر الإسلام إلى فترتين :

- فترة النبوة .

- فترة الخلفاء الراشدين .

فترة النبوة:

كان العصر النبوي بقسميه المكي والمدني فترة تكوين وبناء المجتمع وتحديد معالم الدولة الإسلامية وإرساء القواعد الأساسية التي تسير عليها خلال عصورها القادمة .

وكان الإسلام وتعاليمه السمحة هو الأساس الذي بني عليه كل شيء في إدارتها وسياستها وحربها وسلمها وعلاقاتها بالمجتمع من حولها وفي المدينة المنورة قام النبي محمد ﷺ بأعمال أهمها :

بناء مسجد المدينة

كان أول عمل قام به ﷺ ، لأن المسجد هو عنوان هذه الأمة

وهو الذي يمثل رمز انتصاراتها فلقد أمضى المسلمون فى مكة ثلاث عشرة سنة يعبدون الله على خوف ووجل ويضطهدون إن أعلنوا

شعائرهم ، ويؤذون إن صلوا وجهروا بصلاتهم وقرآنهم، فكان قيام المسجد النبوي وإعلان التوحيد في المدينة هو إعلان قيام الإسلام.

توحيد طوائف المجتمع

وهو ما عرف بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار لأن تآلف الأفراد واتحادهم في أي مجتمع هو السبيل إلى استقراره السياسي ، لذا حرص المعصوم صلوات الله عليه على التأليف بين قلوب المسلمين.

وقد آخى ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع وآخى بين سلمان الفارسي وأبى الدرداء وغيرهم من المسلمين .

تنظيم شؤون الدولة الإسلامية (الداخلية والخارجية)ظهر ذلك في

تنظيم موارد الدولة المالية متمثلة في الزكاة وطرق جبايتها ، وماتم من معاهدات،وإرسال السفارات إلى العالم الخارجي توطيدا للعلاقات .

كما بين القرآن الكريم معالم الطريق ، ونظم شؤون الإنسان في كل المجالات وحدد العلاقة بين الراعي والرعية وبين أفراد المجتمع ، وحدد لكل فرد مسؤولياته وما له من حقوق وما عليه من واجبات تجاه نفسه ومجتمعه ، فيما يتعلق بماله وأهله ، وأمنه وحريته ، كما وضع الحدود الشرعية لحفظ النفس والمال ، في إطار تحقيق الأمن

الداخلي للمجتمع وقد أوضح النبي ﷺ

هذه الأسس في قوله :

(لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره) صحيح مسلم وكان عليه السلام يستمد سياسته الداخلية والخارجية لهذه الدوله من وحى الله سبحانه وتعالى في إطار من المشاورة ؛ إذ كان يستشير أصحابه فيما يستجد من الأمور في جميع نواحي الحياة.

فترة الخلفاء الراشدين

في عهد الخلافة الراشدة أصبحت الدولة الإسلامية أقوي دول العالم عسكريا آنذاك وأوسعها رقعة، حيث ضمت الدولة الإسلامية شبه الجزيرة العربية والشام والعراق ومصر وأفريقية، و فارس وخراسان.

والخلفاء الراشدون :هم الحكام الأوائل الذين تولوا حكم الدولة بعد وفاة النبي محمد ﷺ، هذه الخلافة الراشدة التي استمرت ثلاثين سنة من ١١هـ إلى ٤١هـ.

أبو بكر الصديق

هو الخليفة الراشد الأول، والصحابي الجليل ، ورفيق النبي ﷺ في حادثة الهجرة ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، لقب بالصديق لأنه صدق النبي محمدا ﷺ في قصة الإسراء والمعراج، وقيل لأنه كان يصدق النبي ﷺ في كل خبر يأتيه.

تولى الخلافة بعد وفاة النبي محمد ﷺ بعد إجماع المهاجرين والأنصار، في سقيفة بني ساعدة واتفاقهم على أن تكون الخلافة في المهاجرين وكان اجتماعاً تسوده المودة والحب فبايعوا أبا بكر رضي الله عنه ، على أساس من الشورى والاتفاق، ومداولة الرأي، وكان يلقب بخليفة رسول الله.

أبرز أعماله:

حروب الردة :

كانت أبرز الأحداث التي وقعت في عهد الخلفاء الراشدين ، فقد ارتدت بعض القبائل عن الإسلام بعد وفاة محمد ﷺ ومنعت الجزية فقام أبو بكر الصديق بمحاربتها وأصر على قتالهم فقال :

" والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه للنبي لحاربتهم عليه " وظل يقاتلهم حتى أعاد الأمور إلى نصابها واستتب الأمن في أركان الدولة الإسلامية .

بعث جيش أسامة بن زيد :

جهز النبي – ﷺ - جيشاً لقتال الروم قبل وفاته وأمّر عليه أسامة بن زيد ، وعندما قبض رسول اللّه ﷺ ، وانتقل إلى الرفيق الأعلى،أصر الصديق على تسيير جيش أسامة ، برغم

□

اعتراض الصحابة على كون أسامة بن زيد قائد الجيش وهو صغير السن حتى لا يخالف أمر الرسول ﷺ وخرج يشيع الجيش ويودعه ويوصيه ويضع له دستور القتال والتعامل مع الأعداء حتى فارق الجيش مشارف المدينة .

جمع القرآن :

استشعر الصديق الخطر عندما قتل كثير من حفاظ القرآن في حروب الردة فأشار عمر بن الخطاب علي أبي بكر الصديق بجمع القرآن في مصحف واحد و قام بتجميع القرآن الكريم من الرقاع واللخاف وقطع الحجارة التي كتب عليها .

الفتوحات الإسلامية :

واصل أبو بكر الصديق فتح البلاد، وكانت أهم فتوحاته فتح بلاد الشام وفتح العراق. فأرسل جيش خالد بن الوليد إلى

الكوفة بالعراق   واستطاع خلال بضعة أشهر فتح أكثر من نصف العراق و لم يجبر أحداً على الدخول في الإسلام، وتوغل في العراق حتى وصل بلاد فارس وفتح عاصمتهم المدائن .

وعل الطرف الآخر، أرسل جيش أبي عبيدة بن الجراح إلى حمص.

وأرسل جيش يزيد بن أبي سفيان إلى دمشق.

وأرسل جيش شرحبيل بن حسنة إلى الأردن.

وأرسل جيش عمرو بن العاص إلى القدس.

عمربن الخطاب

هو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، تولي الخلافة بتوصية من أبي بكر وبمبايعة وإجماع الصحابة

□

رضوان الله عليهم .

اتسم عهده باتساع رقعة الدولة الإسلامية ، ففتحت مصر والشام وفارس وأرمينية. نظم أركان الدولة الإسلامية وأسس الدواوين وربط بين أطراف الدولة ، وأعطى القوق ونظم بيت المال ، ودعم العلاقات الخارجية مع البلاد المجاورة .

وكانت وفاته سنة ٦٤٤م في صلاة الفجر مطعونا بخنجر

مسموم على يد أبي لؤلؤة المجوسي.

عثمان بن عفان

ثالث الخلفاء الراشدين ، تولى الحكم بعد عمر بن الخطاب وعمره ٦٨ عامًا، في عهده سقطت الدولة الساسانية وفتح المسلمون قبرص وأمر بإنشاء أول أسطول إسلامي للحد من سيطرة البيزنطيين على مياه البحر المتوسط.

ومن أهم أعماله نسخ القران الكريم وإرسال نسخ منه إلى مختلف الولايات الإسلامية .

مات مقتولا -في الفتنة الكبرى- وهو جالس في منزله يقرأ القرآن.

علي بن أبي طالب

ابن عم النبي محمد ﷺ ورابع الخلفاء الراشدين، بايعه المسلمون بعد مقتل عثمان بن عفان، فور توليه الخلافة بعزل ولاة الدولة السابقين وتعيين ولاة آخرين يثق بهم.

وتخللت فترة حكمه الفتن والمعارك التي أثرت كثيرا في مستقبل تاريخ العالم الإسلامي منها :

معركة الجمل ضد طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ومعهما عائشة بنت أبي بكر الذين طالبوا بالقصاص من قتلة عثمان وانتهت بمقتل طلحة والزبير وانتصار علي.

□

ومعركة صفين ضد معاوية بن أبي سفيان الذي طالب كذلك بدم عثمان، وإن كان بعض المؤرخين يرجعون ذلك لأغراض سياسية ولتعارض المصالح وقُتِل علي على يد عبد الرحمن بن ملجم الخارجي وانتهت فترة الخلفاء الراشدين بعد موته.

معالم المجتمع الجديد في ظل الإسلام :

القيم الاجتماعية والأخلاقية

استطاع الإسلام أن يخلص العرب من كثير من العادات التي كان سائدة وحرم الخمر والميسر والاعتداء على الآخرين والسلب والنهب والتعالي والتكبر وحرم الربا ووأد البنات، وفي ظل الإسلام بدأ بناء المجتمع على الإخاء والمودة والتعاون

كما رعى الإسلام حقوق الإنسان ونادى بالحفاظ على كرامته وأعلى حقوق المرأة ومكانتها عما كانت عليه سابقاً فقد

□

أعطاها دورها في بناء المجتمع الإسلامي حين أنقذها من عبوديتها، ومنع وأدها، وكفل لها حق التعلم واختيار الزوج والميراث ، وبين مالها من حقوق وما عليها من واجبات .

الدعوة إلى الوحدانية واحترام عقل الإنسان :

أزال الإسلام الوثنية و قضى على الكهانة والعرافة ونهى عن الطيرة

والتشاؤم والتنجيم باعتبارها معتقدات باطلة، ودعا إلى التوحيد وعبادة إله واحد لا شريك له . وعندما سيطر المسلمون على العديد من الدول وانتشروا في الآفاق درسوا أحوال الأمم المغلوبة وعلومها واقتبسوا من حضارتها، فامتزجت العقلية العربية بتلك العقليات امتزاجا عميقا تولدت منه العلم الشرعية، الفنون الأدبية والحضارة الإسلامية التي طبقت

□

الأرض مهدت لرقي الإنسان الحديث.

العناية باللغة والأدب :

اللغة والأدب مظهران من مظاهر الحياة المختلفة، ومن ثم فلا بد أن يكون للإسلام تأثير فيهما. أما اللغة فقد خلد الإسلام اللغة العربية حين نزل القرآن بلسان عربي مبين ويعتقد المسلمون أن الله ضمن لها ذلك الخلود. ويصر المسلمون على أن حفظ القرآن يستلزم حفظ لغته التي نزل بها. ومن أثر الإسلام في لغة العرب أنه جعلها لغة عالمية غير مقصورة على إقليم معين حيث يحرص كل مسلم على وجه الأرض على تعلمها ليقرأ بها القرآن في صلاته.

أما الأدب فكان بليغاً منذ قبل الإسلام مثال ذلك المعلقات وما شابه، ولكن أيضاً أثر الإسلام في الأدب من خلال القرآن والحديث حيث اقتفى الأدباء أثرهما، واقتبسوا من أسلوبهما. ومن أثر الإسلام في الأدب أنه أمده بكثير من الألفاظ التي لم يكن له عهد بها كالجنة والنار، والميزان الصراط، والبعث والنشور، والصلاة والزكاة، وأسماء الله الحسنى.

موقف الإسلام من الشعر

عند النظر إلى ثقافة الجزيرة العربية والعربي قبل الإسلام تجد أن الشعر هو المسيطر على أغلبية الحياة الثقافية؛ ومما لاشك فيه أن الشعر كان بمثابة السجل الذي تدون فيه الحياة العربية. ثم ظهر الإسلام وانتشر في الجزيرة العربية ، فاصطدم العرب برسالة جديدة لم يألفوها وبكتاب بليغ لم يستطيعوا مجاراته، فخرست الألسنة وتراجعت مكانة الشعر والشعراء. المقصود في القرأن الكريم طريقة الشعراء ، ليس الشعراء أنفسهم ، فجاء ذكر أنهم يتبعهم الفاسدون،لأنهم يقولون ما لا يفعلون من هجاء للناس أو مدح الزيف أو وصف للخمر أو غيرها من الأغراض التي تعارض دعوة الإسلام ، خاصة الهجاء الفاحش الذي كان يهجوه كفار قريش للنبي ﷺوتشكيكهم في دعوته ورسالته؛ أما عن موقف الإسلام من الشعر فقد برز على الساحة رأيان في قيمة الشعر.

من حيث القوة والضعف في صدر الإسلام .

رأي يقول بضعف الشعر وأنه قد خبت جذوته وتوارت بلاغته في إبان البعثة النبوية وخلالها وأنه توارى إنشاد الشعر بالشكل الذي تعودوا أن ينشئوه وينشدوه قبل البعثة المحمدية بقليل " .

وكان ابن سلام أول من أشار إلى ذلك في كتابه "طبقات فحول الشعراء": "فجاء الإسلام وتشاغلت عن الشعر العرب، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم، ولهت عن الشعر وروايته فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح .واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر ، فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا أقل ذلك وذهب عليهم منه كثير" [١] .

وتابع هذا الرأي ابن خلدون وغيره إلى العصر الحديث ومنهم

أحمد الزيات ومصطفى الشكعة وغيرهم.

والرأي الآخر يقول أنصاره بقوة الشعر في عصر صدر الإسلام على رأسهم شوقي ضيف ، إذ يرى أن الشعر ازدهر ويؤكد رأيه بالعديد من النماذج التي تزخر بها كتب الأدب وكثرة عدد الشعراء في تلك الفترة، ومواكبتهم للدعوة الإسلامية.

والثابت أن النبي ﷺ أثنى على الشعر وما للبيان من سحر ، كما أن الصحابة رضوان الله عليهم تذوقوا الشعر وبينوا مواضع الحسن في كثير منه ، أما تحذير الإسلام من أن يكون ما يغلب على الإنسان الشعر هو شيء طبيعي، بعد أن تصدر القرآن الكريم والسنة النبوية الاهتمام الغالب للإنسان المسلم ، لذلك قام الإسلام ورجاله بمنع الشعر البذيء الذي لا يتفق مع الإسلام أو انشغال الفرد المسلم بالشعر عن أمور دينه .

لقد ظل الشعراء ينتهجون الأسلوب الجاهلي صورا وأخيلة عدا إدخال بعض الألفاظ للمرادفات الإسلامية في بداية عهد الرسول كقول كعب بن زهير في مدح الرسول ﷺ:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ   متيم أثرها لم يفد مكبولُ

إن الرسول لنور يستضاء به   مهند من سيوف الله مسلولُ

في عصبة من قريش قال قائلهم   ببطن مكة لما أسلموا زولوا

زالوا فمازال أنكاس ولا كشف   عند اللقاء ولا ميل معازيلُ

ويتضح في رد حسان على المشركين :

هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاءُ

أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداءُ

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمدٍ منكم وقاءُ

الشعراء المخضرمون ودورهم

في

شعر صدر الإسلام

الخضرمة تطلق على كل من أدرك الجاهلية والإسلام : مخضرم ؛ لأنه أدرك الخضرمتين : خضرمة الجاهلية وخضرمة الإسلام.

ورجل مخضرم إذا كان نصف عمره في الجاهلية ونصفه في الإسلام .

وشاعر مخضرم : أدرك الجاهلية والإسلام مثل لبيد وغيره ممن أدركهما.

ومن هؤلاء:

حسان بن ثابت

هو حسان بن ثابت بن المنذر من الخزرج.يقال أنه عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الإسلام ستين أخري تردد حسان قبل الإسلام على بلاط الغساسنة ، وكان لسان قومه في الحروب التي نشبت بينهم وبين الأوس في الجاهلية، ومن ثمّ اصطدم بالشاعرين الأوسيين: قيس بن الخطيم ، وأبى قيس بن الأسْلت.

كان حسان شديد العصبية لقومه، فلا يكاد يتعرض لهم أحد بسوء حتى ينبري للذود عنهم بشعره، فيشيد بمناقبهم ويهجو أعداءهم، وهذه العصبية تفسر لنا غلبة الهجاء والفخر على شعره الجاهلي. وقد بلغ به الأمر أنه طلَّق زوجته "عمره" الأوسية لأنها عيَّرته بأخواله.

وعندما دخل حسان الإسلام بعد هجرة الرسول - ﷺ – بلغه أن شعراء قريش أخذوا في هجاء الرسول - ﷺ - وصحبه من المسلمين فتصدى لهم بلاذع هجائه ، وكان رسول الله ﷺيحثُّه على ذلك ويدعو له بمثل اللهم أيَّده بروح القدس، واستمع إلى بعض هجائه لهم فقال:

"لهذا أشد عليهم من وقع النبل" وكان يهجوهم بالأيام التي هُزِمُوا فيها ويعيِّرهم بالمثالب والأنساب.

سمي حسان شاعر الإسلام ورسوله الكريم ، فقد عاش يدافع عن الرسول ﷺوالمسلمين، فهو حين يرد على شاعر وفد بني تميم الزبرقان بن بدر يقول (٢) :

إنّ الذوائبَ منْ فهرٍ وإخوتهمْ قدْ بينوا سنةً للناسِ تتبعُ

يَرْضَى بهَا كُلُّ مَن كانَتْ سرِيرَتُهُ تقوى الإلهِ وبالأمر الذي شرعوا

قومٌ إذا حاربوا ضروا عدوهمُ، أوْ حاوَلُوا النّفْعَ في أشياعِهِمْ نَفعوا

سجيةٌ تلكَ منهمْ غير مُحدثةٍ، إنّ الخلائِقَ، فاعلَمْ، شرُّها البِدَعُ

أعِفّةٌ ذَكِرَتْ في الوَحيِ عِفّتُهُمْ لا يَطّمَعونَ، ولايرْديهمُ الطّمَعُ

كم من صديقٍ لهمْ نالوا كرامتَهُ ومِنْ عَدُوٍّ عَليهمُ جاهدٍ جدعوا

أعطوا نبيَّ الهدى والبرّ طاعتهمْ | فمَا وَنَى نَصْرُهُمْ عنْهُ وَما نَزَعُوا

إن قالَ سيروا أجدوا السيرَ جهدهمُ، | أوْ قالَ عوجوا عَلَيْنا ساعةً، رَبَعُوا

منزلته الشعرية اتفق الرواة والنقاد على أنه أشعر أهل المدر في عصره وأنه أشعر اليمن قاطبة، وقد خلَّف ديوانا شعريا ضخما .

كعب بن زهير

أبوه زهير بن أبي سلمى من فحول الشعراء في الجاهلية، وهما من قبيلة مزينة. وقد تلقن الشعر عن أبيه، ومعروف أن كعبا وبجيرا أخاه والحطيئة أدركوا الإسلام ، وكان أسبقهم إلى الدخول فيه بجير وظل كعب على وثنيته، إلى فتح مكة فأعلن إسلامه بعد أن أهدر النبي ﷺدمه ، ويستشفع لنفسه عند النبي ﷺ بلاميته المشهورة (بانت سعاد) ، فكساه النبي ﷺبُردة؛ اشتراها معاوية من أبنائه بعد ذلك بعشرين ألف درهم. ويستهلها - أي القصيدة - بالغزل، ثم يصور خوفه من رسول اللّه ﷺوأمله في أن يعفُو عنه، ثم يمدح المهاجرين.

الحطيئة

اسمه جَرْول ، ولقب بالحطيئة لقصره ودمامته، ونشأ مغموزا في نسبه، وجعله ذلك قلقا مضطربا بالإضافة إلى ضعف جسمه وقبح وجهه، وقد لزم زهير يعلَّمه أحكام الشعر. ويضيء الإسلام في الجزيرة فلا يسارع إليه، ومن هنا اختلف الرواة هل قدم على رسول اللّه ﷺ بعد فتح مكة فأعلن إسلامه على شاكلة كعب، أم أنه تأخر إسلامه؛ على إنه التزم الصمت أو كاد في عصر النبوة . ثم أسلم .

وأغلب شعر الحطيئة يدور في المديح والهجاء، وكان يمدح سادة القبائل بشعره منذ نشا في الجاهلية من أمثال عيينة بن حصن الفزاري وزيد الخيل وكان غيره من الشعراء يصنعون صنيعه؛ وحادثته مع الزبرقان بن بدر هي التي شوَّهته، ذلك أنه لقيه في عهد عمر بن الخطاب يؤم المدينة وكان على صدقات قومه، فلما عرفه دلَّه على داره حيث زوجه وعشيرته، فنزل بأهله وفزع بنو أنف الناقة (خصوم الزبرقان)، وأفسدوا العلاقة بينهما وضموا الحطيئة إليهم فمدحهم معرضا بالزبرقان:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

ورفع الزبرقان أمره إلى عمر، فحبسه، فاستعطفه بأبياته المشهورة[٣] :

مَاذَا تقول لأِفْراخٍ بذي مَرَخٍ	حمرِ الحواصل لا ماءٌ ولا شجرُ

غَيَّبْتَ كَاسِبَهُمْ في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ	فاغْفِرْ عَلَيْكَ سلامُ اللّه ياعُمَرُ

أنتَ الأمِينُ الذي مِنْ بَعْدِ صَاحِبهِ	ألْقَتْ إليْكَ مَقَالِيدَ النُّهَى البَشَرُ

فلان له عمر، فعفا عنه بعد أن أخذ عليه العهد أن لا يعود إلى الهجاء ويقال أنه اشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة الآف درهم ؛ ولكنه يعود بعد وفاة عمر مرة أخرى.

هوامش

(١) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ص ٣٤

(٢) حسان بن ثابت ، الديوان ص ٥٦

(٣) شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي،(العصر الجاهلي)ص٦٤ .

شعراء عصرصدر الإسلام

ابن قيس الرقيات

هو عبيد اللّٰه بن قيس أحد بني عامر بن لؤي. شاعر قريش في العصر الأموي، كان مقيماً في المدينة. خرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان ثم انصرف إلى الكوفة بعد مقتل ابني الزبير، عبد اللّٰه ومصعب، وقصد الشام ولجأ إلى عبد اللّٰه بن جعفر بن أبي طالب فشفع له عند عبد الملك.

أكثر شعره في الغزل وله قصائد في الفخر والمدح، لقب بالرقيات لأنه شبب بثلاث نسوة يقال لكل منها رقية.

وهو القائل في مصعب بن الزبير:

إنما مصعب شهاب من الله   تجلت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك قوة ليس   فيه جبروت ولا به كبرياء

يتقي الله في الأمور وقد   أفلح من كان همه الاتقاء

ولما قتل مصعب وصار الأمر لعبد الملك سار إلى عبد الله بن جعفر يستشفع به إليه فقال له: إذا دخلت معي فكل أكلاً يستشنعه ففعل فقال له من هذا يا ابن جعفر قال: هذا أكذب الناس، قال ومن هو؟ قال، الذي يقول:

وما نقموا من بني أمية إلا أنهم يحلمون إذا غضبوا وأنهم معدن الملوك ولا تصلح إلا عليهم العرب قال قد عفونا عنه.

وفيه يقول:

تعدت بي الشهباء نحو ابن جعفر	سواء عليها ليلها ونهارها
ووالله لولا تزور ابن جعفر	لكان قليلاً في دمشق قرارها
أتيناك نثني بالذي أنت أهله عليك	كما أثني على الروض جارها

اتصل بالأمويين خلفائهم وولاتهم ومدحهم ، كذلك مدح الهاشميين مدحه للزبيريين من قبل ووجد عذراً لنفسه أنهم جميعاً قرشيون وهو متحزب لقريش يرى أن الملك فيها.

إلاَّ أن خيرة شعره السياسي ما كان في الزبيريين ولا سيما مصعب.

وشعر ابن قيس أميل إلى السهولة في غير ضعف، ترق معانيه في الغزل الذي سلك فيه مسلك الحضريين. وفي رثائه لوعة دون تميع وقد تعنف معانيه في الهجاء ولكن دون تفحش.

هو غيّاث بن غوث التّغلبي، لقبه الأخطل وكنيته أبو مالك. شاعرٌ أمويٌّ، ولِد في الحيرة أيّام عشرين للهجرة، من أبٍ تغلبي فقير. اتّجه منذ صباه إلى شعر الهجاء، ولهذا اتّصل به يزيد حين أقدم شاعرٌ من الأنصار على هجائه وهجاء والده والتّشبيب بأُخته والتّحدث عن غرامياتٍ معها، وطلب إليه أن يهجوَ الأنصار. فتهيّب الأخطل ثم قَبِلَ لعدّة أسبابٍ، أهمّها إنّه أموي الهَوى وطالب شهرةٍ وطالب مال. وهكذا انفتح باب المجد أمامه، فأطلق لسانه في هجاء الأنصار ونعتهم بأنهم يهود، وبأنهم فلاّحون، يشربون الخمر، وضرَبَ على وترٍ حسّاسٍ فجعلهم دون قريش مكانةً وشرفًا، وأثار ما كان بين القحطانية والعدنانية من عداء، وجعل اللّؤم تحت عمائم الأنصار، وأَمَضّهُم في نصيحته حين ثناهم عن طلب المجد لأنهم ليسوا من أهله، ووصمهم بالجُبن في القتال:

ذهبت قريش بالمكارم والعلا   واللؤم تحت عمائم الأنصارِ

فذَروا المعالي لَسْتُم من أهلها   وخذوا مساحيكم بني النجارِ

وكانت هذه المناسبة سبيله إلى الاتصال ببني أميّة وخاصّة بعبد الملك بن مروان، حتى أصبح شاعرهم الناطق باسمهم، والمروّج لسياستهم. والمُدافع عنهم، وكان يُمثّل قبيلته تغلب في الوقت نفسه فيتغنّى بأمجادها، ويهجو أعداءها القيسيّة، ويشدّ النّزاع القَبَليّ بين تغلب وقبائل قيس إلى عجلة السياسة الأموية؛ وممّا سهّل عليه ذلك كون بني تغلب حلفاء للأمويين، بينما القيسية أعداء الخلافة.

□

احتدم الهجاء بين الأخطل وجرير حتى مات أبو مالك (الأخطل) في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٩٢ ه .

وسبب هذا الهجاء أن الأخطل انحاز إلى الفرزدق ففضّل شعره على جرير، وكان من نتيجة ذلك نشوء فنّ شعريّ جديدٍ عُرِفَ بالنّقائض، مع هؤلاء الشّعراء الثلاثة المعروفين بـ "المُثلّث الأُمويّ" والذين شغلوا الناس بنقائضهم على مدى عقودٍ طويلة.

أما شعر الأخطل، فقد تناول معظم الأغراض الشعرية المعروفة من مدحٍ وهجاءٍ ووصفٍ وفخرٍ. غير أن شهرته قامت على المديح الذي اقتصر على بني أميّة حيث نال عندهم حظوةً واحتلّ في بلاط خليفتهم عبد الملك بن مروان مكان الصّدارة، بالرّغم أنه كان نصرانيًا، فلُقِّبَ بـــ "شاعر بني أمية" و"شاعر أمير المؤمنين".

وأروع قصائده المدحيّة، "رائيته" في الخليفة عبد الملك.

ومنها قوله:

شمسُ العداوةِ حتى يُستقاد لهم وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قدروا

وفيها هذه الحكمة الموفّقة:

إنّ الضغينة تلْقاها وإن قَدُمَت كالعُرِّ يكمنُ حيناً ثم ينتشِرُ

وإلى جانب منزلته الرفيعة في المديح، فقد برع الأخطل في الوصف

قال أبو الفرج الأصفهاني في " الأغاني" :

(هو غياث بن غوث بن الصلت بن الطارقة، والأخطل لقبٌ غلب عليه. ذكر هارون بن الزيات عن ابن النطاح عن أبي عبيدة أن السبب فيه أنه هجا رجلاً من قومه، فقال له: يا غلام، إنك لأخطل فغلبت عليه.

وذكر يعقوب بن السكيت أن عتبة بن الزعل حمل حمالةً، فأتى قومه يسأل فيها، فجعل الأخطل يتكلم وهو يومئذ غلام. فقال عتبة:

من هذا الغلام الأخطل؟! فلقب به.

وقال ابن السكيت أيضا : إن كعب بن جعيل كان شاعر تغلب وكان لا يأتي منهم قوماً إلا أكرموه وضربوا له قبة، حتى إنه كان تمد له حبالٌ بين وتدين فتملأ له غنما. فأتى في مالك بن جشم ففعلوا ذلك به فجاء الأخطل وهو غلام فأخرج الغنم وطردها، فسبه عتبة ورد الغنم إلى مواضعها، فعاد وأخرجها وكعبٌ ينظر إليه، فقال: إن غلامكم هذا لأخطل – والأخطل: السفيه – فغلب عليه. ولج الهجاء بينهما، فقال الأخطل فيه:

سميت كعباً بشر العظام   وكان أبوك يسمى الجعل

وإن محلك من وائلٍ   محل القراد من است الجمل

ومن أخباره في الأغاني :

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن أبي عبيدة قال:

جاء رجلٌ إلى يونس فقال له: من أشعر الثلاثة؟ قال: الأخطل.

قلنا: من الثلاثة؟ قال: أي ثلاثة ذكروا فهو أشعرهم.

قال هارون حدثني القاسم بن يوسف عن الأصمعي: أن الأخطل كان يقول تسعين بيتاً ثم يختار منها ثلاثين فيطيرها.

وقيل في مكانته ومنزلته الشعرية :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد وقال: سئل حماد الراوية عن الأخطل، فقال: ما تسألوني عن رجلٍ قد حبب شعره إلى النصرانية! قال إسحاق وحدثني أبو عبيدة قال قال أبو عمرو: لو أدرك الأخطل يوماً واحداً من الجاهلية ما قدمت عليه أحداً.

وقيل :

وذكر يعقوب بن السكيت عن الأصمعي:

أن جريراً سئل أي الثلاثة أشعر؟ فقال: أما الفرزدق فتكلف مني ما لا يطيق. وأما الأخطل فأشدنا اجتراءً وأرمانا للفرائض.

وأما أنا فمدينة الشعر. **وقيل** :

وروي : أن الفرزدق دخل الكوفة، فلقيه ضوء بن اللجلاج، فقال له: من أمدح أهل الإسلام؟ فقال له: وما تريد إلى ذلك؟ قال: تمارينا فيه. قال: الأخطل أمدح العرب.

وروي أنه : قال الأخطل لعبد الملك: يا أمير المؤمنين، زعم ابن المراغة أنه يبلغ مدحتك في ثلاثة أيام وقد أقمت في مدحتك سنة فما بلغت كل ما أردت.

□

فقال عبد الملك: فأسمعناها يا أخطل، فأنشد يقول :

خف القطين فراحوا منك أو بكروا فجعلت أرى عبد الملك يتطاول لها، ثم قال: ويحك يا أخطل**!** أتريد أن أكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب؟ قال: أكتفي بقول أمير المؤمنين ، وأمر له بجفنةٍ كانت بين يديه فملئت دراهم وألقى عليه خلعاً، وخرج به مولى لعبد الملك على الناس يقول: هذا شاعر أمير المؤمنين، هذا أشعر العرب.

ومن جميل شعره :

خَفَّ القطينُ، فراحوا منكَ، أوْ بَكروا ... وأزعجتهم نوى في صرفْها غيرُ

كأنّني شارِبٌ، يوْمَ اسْتُبِدَّ بهمْ ... من قرقفٍ ضمنتها حمصُ أو جدرُ

جادَتْ بها مِنْ ذواتِ القارِ مُتْرَعة ... كلْفاءُ، يَنْحتُّ عنْ خُرْطومِها المَدرُ

كأنّني ذاكَ، أوْ ذو لَوْعةٍ خَبَلَتْ ... أوْصالَهُ، أوْ أصابَتْ قلْبَهُ النَّشَرُ

شوْقاً إليهِمْ، وَوجداً يوْمَ أتْبِعُهُم ... طرْفي، ومنهم بجنبيْ كوكبٍ زُمرُ

حثّوا المطيّ، فولتنا مناكبِها وفي الخدورِ إذا باغمتَها الصوَرُ

يبرقنَ بالقومِ حتى يختبِلنهُمْ ورأيهُنَّ ضعيفٌ، حينَ يختبرُ

يا قاتلَ اللهُ وصلَ الغانياتِ، إذا أيقنَّ أنكَ ممنْ قدْ زها الكبرُ

أعرضنَ، لما حنى قوسي مُوترها وابْيَضَّ، بعدَ سَوادِ اللِّمّةِ، الشّعَرُ

ما يَرْعوينَ إلى داعٍ لحاجتِهِ ولا لهنَّ، إلى ذي شَيْبَةٍ، وَطَرُ

شرقنَ إذْ عصرَ العِيدانُ بارحُها وأيْبسَتْ، غَيرَ مجْرَى السِّنّةِ، الخُضَرُ

فالعينُ عانيةٌ بالماءِ تسفحهُ مِنْ نِيّةٍ، في تلاقي أهْلها، ضَرَرُ

والهمُّ بعدَ نجي النفسِ يبعثه بالحزْمِ، والأصمعانِ القَلْبُ والحذرُ

إلى امرئٍ لا تعدّينا نوافلهُ أظفرهُ اللهُ، فليهنا لهُ الظفرُ

ألخائضِ الغَمْرَ، والمَيْمونِ طائِرُهُ خَليفَةِ اللَّهِ يُستَسْقى بهِ المطَرُ

والمستمرُّ بهِ أمرُ الجميعِ، فما يغترهُ بعدَ توكيدٍ لهُ، غررُ

وما الفراتُ إذا جاشتْ حوالبهُ | في حافتيهِ وفي أوساطهِ العشرُ

وذَعْذعَتْهُ رياحُ الصَّيْفِ، واضطرَبتْ | فوقَ الجآجئ من آذيهِ غدرُ

مسحنفرٌ من جبال الروم يسترهُ | مِنْها أكافيفُ فيها، دونهُ، زَوَرُ

قَوْمٌ أنابَتْ إليهِمْ كلُّ مُخْزِيةٍ | وبالثويةِ لم ينبضْ بها وترُ

وتَسْتَبينُ لأقوامٍ ضَلالَتُهُمْ | ويستقيمُ الذي في خدهِ صعرُ

حُشْدٌ على الحَقّ، عيّافو الخنى أُنُفٌ | إذا ألمّتْ بهِمْ مَكْروهَةٌ، صبروا

وإن تدجتْ على الآفاقِ مظلمة | كانَ لهُمْ مَخْرَجٌ مِنْها ومُعْتَصَرُ

أعطاهمُ الله جداً ينصرونَ بهِ | لا جَدَّ إلاّ صَغيرٌ، بَعْدُ، مُحْتَقَرُ

لمْ يأشَروا فيهِ، إذْ كانوا مَوالِيَهُ | ولوْ يكونُ لقومٍ غيرهِمْ، أشروا

شمسُ العداوةِ، حتى يستقادَ لهم | وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قدروا

لا يستقلُّ ذوو الأضغانِ حربهمُ | ولا يبينُ في عيدانهمْ خورُ

هُمُ الذينَ يُبارونَ الرّياحَ، إذا قَلَّ الطّعامُ على العافينَ أوْ قَتَروا

بني أميّةَ، نُعْماكُمْ مُجَلَّلَة تَمّتْ فلا مِنّةٌ فيها ولا كَدَرُ

واتخذوه عَدُوّاً، إنَّ شاهِدَهُ وما تغيبَ من أخلاقهِ دَعرُ

إن الضغينةَ تلقاها، وإن قدُمتْ كالعَرّ، يَكْمُنُ حِيناً، ثمّ يَنْتشِرُ

ج

لعَمْري، لقد أسريتُ، لا لَيْلَ عاجزٍ

لعَمْري، لقد أسريتُ، لا لَيْلَ عاجزٍ بساهمَةِ الخدّيْنِ، طاويةِ القُرْبِ

جُماليّةٍ، لا يُدرِكُ العيسُ رَفْعَها إذا كنّ بالركبان كالقيم النكبِ

مُعارِضَةٍ خُوصاً، حَراجيجَ، شمّرَتْ لنُجعةِ مَلْكٍ، لا ضئيلٍ، ولا جأبِ

كأنَّ رِحالَ القوْمِ، حينَ تَزَعْزَعَتْ
على قَطَواتٍ مِن قطا عالجٍ، حُقْبِ

أجدتْ لوردٍ من أباغَ وشفها
هواجِرُ أيّامٍ، وُقِدْنَ لها، شُهْبِ

إذا حَملَتْ ماء الصّرائِمِ، قَلّصَتْ
رَوَايا لأطْفالٍ بِمَعْمِيَةٍ، زُغْبِ

تَوائِمَ أشْباهٍ بأرْضٍ مَريضَةٍ
يلذنَ بخذرافِ المتانِ وبالعربِ

إذا صَخِبَ الحادي علَيْهِنَّ بَرَّزَتْ
بَعِيدَةُ ما بَينَ المشافِرِ والعَجْبِ

وكَمْ جاوزَتْ بحْراً ولَيْلاً، يخُضْنهُ
إلَيْكَ أميرَ المؤمنينَ ومِن سَهْبِ

عوادلَ عوجاً عن أناسٍ، كأنما
تَرَى بهِمِ جَمْعَ الصَّقالبةِ الصُّهْبِ

يُعارِضْن بَطْنَ الصَّحصَحان، وقد بدتْ
بيوتُ بوادٍ من نميرٍ ومن كلبِ

ويا منَّ عن نجدِ العُقابِ وياسرتْ
بنا العيسُ عَن عذراء، دارِ بني الشَّجْبِ

يخذْنَ بنا عن كل شيء، كأننا … أخاريس عيوا بالسّلام وبالنَّسبِ

إذا طلعَ العيوقُ والنجمُ أوْلجَتْ … سوالفها بين السماكَيْنِ والقلْبِ

إلَيْكَ، أميرَ المؤمنين، رحَلْتُها … على الطّائرِ الميمونِ والمنْزِلِ الرَّحْبِ

إلى مؤمنٍ تجلو صفيحةُ وجههِ … بلابلَ تغشى ، من همومٍ ومن كربِ

مُناخٌ ذوي الحاجاتِ، يَسْتَمْطرونَهُ … عطاءَ كريمٍ من أسارى ومن نهبِ

ترى الحَلَقَ الماذيَّ، تَجْري فُضُولُهُ … على مُسْتَخِفّ بالنّوائبِ والحَرْبِ

أخوها، إذا شالتْ عضُوضاً سما لها … على كلُ حال: من ذلولٍ ومن صعبِ

إمامٌ سما بالخيلِ، حتى تقلقلتْ … قلائدُ في أعناقِ معلمةٍ حُدبِ

شواخِصَ بالأبصارِ، مِن كلّ مُقَربٍ … أعدَّ لهيجا، أو موافقةِ الركبِ

سواهِمَ، قد عاوَدْن كلَّ عظيمَةٍ مجللة الأشطانِ، طيبة لكسبِ

يُعاندنَ عن صلب الطريقِ من الوجا وهُنَّ، على العِلاّتِ، يَرْدينَ كالنُّكْبِ

إذا كلفُوهُنَّ التنائيَ لم يزلْ غرابٌ على عوجاءَ منهنَّ أو سقبِ

وفي كل عامٍ، منكَ للرّوم، غزْوةٌ بعِيدَةُ آثارِ السّنابِكِ والسَّرْبِ

يُطَرِّحْنَ بالثّغْرِ السِّخالَ، كأنّما يشققنَ بالأشلاء، أرديةَ العصبِ

بناتُ غرابٍ، لم تكتملْ شهورُها تقَلْقَلنَ مِن طَولِ المفاوِزِ والجَذْبِ

وإن لها يومين: يومَ إقامةٍ ويوماً تشكى القضَّ من حذرِ الدربِ

غموسِ الدجى تنشقّ عن متضرمِ طلوبِ الأعادي، لا سؤومٍ، ولا وجبٍ

على ابنِ أبي العاصي قُرَيْشٌ تعطّفتْ
لهُ صُلبها، ليس الوشائظَ كالصلبِ

شواخِصَ بالأبصارِ، مِن كلّ مُقَربٍ
أعدَّ لهيجا، أو موافقةِ الركبِ

سواهِمَ، قد عاوَدْن كلَّ عظيمَةٍ
مجللة الأشطانِ، طيبة لكسبِ

وقد جعلَ اللهُ الخلافةَ فيكُمُ
بأبْيضَ، لا عاري الخِوَانِ، ولا جَدْبِ

ولكِنْ رآهُ اللّهُ مَوْضِعَ حَقّها
على رغمِ أعداءٍ وصدادةٍ كذب

عتَبْتُم علَيْنا، قيسَ عَيْلانَ كُلّكُم
وأيُّ عَدُوّ لمْ نُبِتْهُ عَلى عَتْبِ

لَقَدْ عَلِمَتْ تِلْكَ القَبائِلُ أنّنا
مصاليتُ، جذّامونَ آخيةَ الشَّغب

فإنْ تلكُ حَرْبُ ابنيْ نِزَارٍ تواضَعَتْ
فقد عذرتنا من كلاب ومن كعبِ

وفي الحُقْبِ مِنْ أفناء قيسٍ كأنّهمْ
بمُنْعَرجِ الثّرْثارِ، خُشْبٌ على خُشْبِ

وهُنّ أذقن الموتَ جزءَ بن ظالمٍ ... بماضِيَةٍ بَينَ الشّراسِيفِ والقُصْبِ

وظَلّتْ بَنو الصَّمْعاء تأوي فلُولُهمْ ... إلى كلّ دسماء الذراعينِ والعقبِ

وقد كان يوماً راهطٍ من ظلالكُم ... فناءً لأقوامٍ وخطباً من الخطب

تُسامونَ أهلَ الحقّ بابنيْ مُحارِبٍ ... ورَكبِ بني العَجلانِ،حسبُك من رَكْبِ

قرومُ أبي العاصي، غداةَ تخمَّطتْ ... دِمَشْقُ بأشْباهِ المُهنّأةِ الجُرْبِ

يقودنَ موجاً من أميةَ لم يرثْ ... دِيارَ سُلَيْمٍ بالحِجازِ ولا الهَضْبِ

مُلوكٌ وأحْكامٌ وأصْحابُ نَجْدَةٍ ... إذا شوغِبوا، كانوا علَيْها إلى شَغْبِ

أهلوا من الشهرِ الحرامِ، فأصبحوا ... مواليَ مُلْكٍ، لا طريفٍ ولا غَصْبِ

تذودُ القَنا والخَيْلُ تُثْنى عَلَيْهِمِ
وهُنَّ بأيْدي المُستَمِيتينَ كالشَّهْبِ

ولم تردَ عيني مثلَ ملكٍ رأيتهُ
آتاك بلا طعن الرماحِ، ولا الضربِ

مِن السُّودِ أستاهاً، فوارِسُ مُسْلِمٍ
غداةَ يَرُدُّ الموْتَ ذو النّفس بالكَرْبِ

ولكِنْ رآكَ اللّهُ مَوْضِعَ حَقّهِ
على رغْمِ أعداءٍ وصدادةٍ كذبِ

لحى اللّهُ صِرْماً مِنْ كُلَيْبٍ كأنّهمْ
جداءُ حجازٍ لا جئاتٌ إلى زربِ

أكارعُ، ليسوا بالعريضِ محلهم
ولا بالحماةِ الذائدين عن السربِ

بني الكلب، لولا أن أولادَ درامٍ
تذبّبُ عنكم في الهزاهزِ والحربِ

إذاً لاتّقَيْتُمْ مالكاً بضرِيبَةٍ
كذلك يُعْطيها الذّليلُ على الغَصْبِ

وما يفرحُ الأضيافُ أن ينزلوا بها
إذا كان أعلى الطّلحِ كالدَّمِكِ الشَّطبِ

يقولونَ دَبِّبْ، يا جريرُ، وراءنا
وليس جريرٌ بالمُحامي ولا الصُّلْبِ

بني الكلب، لولا أن أولادَ درامٍ
تذبّبُ عنكم في الهزاهزِ والحربِ

عفا واسطٌ من أهْله فمذانُبْهْ

عفا واسطٌ من أهْله فمذانُبْهْ
فرَوْضُ القَطا: صَحْراؤهُ فَنصائِبُهْ

وقدْ كانَ محضُوراً أرى أن أهلهُ
به أبداً، ما أعجمَ الخطَّ كاتبُهْ

ولكنَّ هذا الدهرَ أصبحَ فانياً
تَسَعْسعَ واشْتَدَّتْ عَلينا تجارِبُهْ

عَدا ذو الصَّفا منْهُمْ، فأمسى أنيسُهُ
قليلاً، تعاوى بالضباحِ ثعالبُهْ

وحلَّ بصحراء الإهالةِ حذلمٌ
وما كانَ حلالاً بها، إذا نُحاربُهْ

خلا لبني البرشاء بكرِ بن وائلٍ
مجاري الحصى من بطنِ فلجٍ، فجانبُهْ

نَفى عَنْهُمُ الأعْداءَ فُرْسانُ غارَةٍ ... ودهمٌ يغمُ البلقَ خضرٌ كتائبهُ

فنحنُ أخٌ، لم يلقَ في الناسِ مثلُنا ... أخاً، حين شابَ الدهرُ وابيضّ حاجبهْ

وإنا لصبرٌ في مواطنِ قومِنا ... إذا ما القَنا الخَطَيُّ عُلّتْ مخاضِبُهْ

وإنا لحمّالو العدو، إذا عدا ... عَلى مَرْكبٍ، لا تُسْتَلَذّ مَراكِبُهْ

وغيرانَ يغلي للعدواةِ صدرهُ ... تذبذبَ عني، لم تنلني مخالبهُ

فإنْ أكُ قد فتّ الكليبي بالعلى ... فقدْ أهلكتهُ في الجراء مثالِبُه

وظلَّ لهُ بينَ العُقابِ وراهطٍ ... ضَبابةُ يَوْمٍ، لا تَوارى كواكِبَهْ

رأيتكَ، والتكليفَ نفسكَ دارماً ... كشيءٍ مضى ، لا يُدركُ الدهرَ طالبهْ

فإنْ يكُ قَدْ بانَ الشّبابُ، فرُبّما ... أعلّلُ بالعذبِ اللذيذِ مشاربُهْ

ولَيْلَةِ نَجْوى يعْتري أهْلَها الصّبى ... سَلَبْتُ بها ريماً، جميلاً مَسالبُهْ

فأصبحَ محجوباً عليَّ، وأصبحتْ — بظاهرةٍ آثارهُ وملاعبهْ

وبتنا كأنّا ضيفُ جنّ بليلةٍ — يعودُ بها القَلْبَ السّقيمَ صبائِبُهْ

فيا لك مني هفوة ً، لم أعُدْ لها — ويا لكَ قلباً، أهلكتُه مذاهبهْ

دعاني إلى خير الملوكِ فضولهُ — وأنّي امْرؤ مُثْنٍ عَلَيْهِ ونادِبُهْ

وعالق أسبابِ امريٍ، إن أقع به — أقع بكريمٍ، لا تغبّ مواهبُهْ

إلى فاعلٍ لوْ خايَلَ النِّيلَ، أزْحفَتْ — من النيلِ فوراتُهْو مثاعِبُهْ

وإنْ أتَعَرَّضْ للوليدِ، فإنّهُ — نَمَتْهُ إلى خيرِ الفُروعِ مَضاربُهْ

نساءُ بني عَبْسٍ وكَعْبٍ ولَدْنَهُ — فنِعْمَ، لعَمْري، الحالباتُ حوالبُهْ

رفيع المنى ، لا يستقلُّ بهمهِ — سؤومٌ، ولا مستنكشُ البحرُ ناضبِهْ

تجيشُ بأوصالِ الجزورِ قدورهُ — إذا المحلُ لم يرجعْ بعودينِ حاطبهْ

مطاعيمُ تغدو بالعبيطِ جِفانهُم إذا القُرُّ ألوَتْ بالعِضاهِ عَصائِبُهْ

تضيءُ لنا الظلماءَ غرةُ وجههِ إذا الأقعسُ المبطانُ أَرْتِجَ حاجِبُهْ

وما بلَغَتْ خَيْلُ امرىءٍ كانَ قَبْلَهُ بحيثُ انتهتْ آثارُهُ ومحاربهْ

وتُضْحي جبالُ الروم غُبراً فِجاجُها بما اشعلتْ غاراتُهُ ومقانبهْ

مِن الغَزْوِ، حتى انْضَمَّ كلُّ ثميلةٍ وحتى انطوَتْ مِن طولِ قَوْدٍ جنائبُهْ

يمدُّ المدى للقومِ، حتى تقطعتْ حبالُ القُوى ، وانشَقَّ مِنْهُ سَبائبُهْ

فتى النّاسِ لمْ تُصْهِرْ إليهِ مُحارِبٌ ولا غنوي دون قيسٍ يُناسبهُ

سعى لي قومي سعيَ قومٍ أعزةٍ

سعى لي قومي سعيَ قومٍ أعزةٍ ... فأصْبَحْتُ أسمو للعُلى والمَكارِمِ

تمنوا لنبلي أنْ تطيشَ رياشُها ... وما أنا عنهمْ في النضالِ بنائمِ

وما أنا إن جارٌ دعاني إلى التي ... تحملَ أصحابُ الأمورِ العظائمِ

ليسمعني، والليلُ بيني وبينهُ ... عن الجارِ، بالجافي ولا المتناومِ

ألم تر أني قدْ وديتُ ابنَ مرفقٍ ... ولمْ تودَ قتلي عبدِ شمس وهاشمِ

جزى اللّهُ فيها الأعوَرَينِ مَذَمّةً ... وعبدَةَ ثَفْرَ الثّوْرَةِ المُتضاجِمِ

فأعيوا، وما المولى بمنْ قلَّ رفدهُ ... إذا أجحفتْ بالناسِ إحدى العقائمِ

وما الجارُ بالرَّاعيكَ، ما دُمتَ سالماً ... ويَزْحَلُ عِندَ المُضْلِعِ المُتفاقِمِ

الأُقَيشِرِ الأَسَدِيّ

هو المغيرة بن عبد الله بن مُعرض، الأسدي، أبو معرض.

شاعر هجاء،عالي الطبقة من أهل بادية الكوفة، كان يتردد إلى الحيرة.

ولد في الجاهلية ونشأ في أول الإسلام وعاش وعّمر طويلاً وكان (عثمانياً) من رجال عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، وأدرك دولة عبد الملك بن مروان .

لُقّب بالأقيشر لأنه كان أحمر الوجه أَقشر وكان يغضب إذا دُعي به، قال المرزباني: هو أحد مُجّان الكوفة وشعرائهم، هجا عبد الملك ورثى مصعب بن الزبير. ، شاعر من المعمرين، من أهل بادية الكوفة عاش في صدر الإسلام وحقبة في الدولة الأموية. وينتهي نسبه إلى قبيلة أسد المضرية. والأقيشر لقب غلب عليه لأنه كان أحمر الوجه أقشر وكان يغضب إذا قيل له «الأقيشر». ولا يعرف تاريخ ولادته بدقة والأرجح أنه ولد في الجاهلية.

كان الأقيشر متقلِّب الولاء، فكان أول أمره من أصحاب عثمان بن عفان، ثم شارك في ثورة عبد الله بن الزبير، ورثى مُصعباً بقصيدة بعد مقتله، ثم أعلن ولاءه فيما بعد لبني أمية، وصار في عداد الحلقة الشعرية التي ألّفها الأمير الأموي بشر بن مروان حاكم الكوفة .

تطلعنا مصادر الأدب أن الأقيشر كان خليعاً ماجناً مدمن الخمر قبيح المنظر ، وقد أزرى بشعره ومكانته مجونه وإدمانه الخمر.

كانت قبيلة بني أسد تعدّه شاعرها وممثلها الأصيل، وقد شارك في وفد قبيلته إلى الشام مراراً وكان الخليفة عبد الملك بن مروان يسأل عنه وفود بني أسد إن هو تخلف عنهم، ويُروى أنه سمع جارية تغني من شعره قطعة مطلعها:

قرّب الله بالسلام وحيّا زكريّا بن طلحة الفيّاض

ج

فقال الخليفة: «هذا المدح لا على طَمعٍ ولا فَرَقٍ، وأشعر الناس الأقيشر»، وكان يستحسن شعره ويستنشده إياه.

وكان سريع البديهة حاضر الجواب، رويت له نوادر كثير في المجون .

وقد جاء شعره في شكل مقطّعات في الهجاء والخمر، ساعد في وصولها إلينا أنها كانت تُغنّى وتلقى ترحيب كثيرين .

كما رويت له - كذلك - بعض المقطعات قالها في مديح أمراء بني أمية وبعض وجوه القوم.

وأطول قصائده يصف فيها بتهكم وبساطة فراره من الجيش الذي أرسله عبد الله بن الزبير لقتال أهل الشام بقيادة الحارث بن عبد الله المخزومي المعروف بالقُباع، فيذكر أنه باع حماره، إذ لم يكن عنده جواد، وأنفق ثمنه عند خمار على الفجور وشرب الخمر، وظل على هذه الحال إلى أن قفل الجيش راجعاً إلى البصرة.

وكان من أثر هجائه بعض الناس أن التصق بهم ما أطلقه عليهم من ألقاب، فقد هجا رجلاً ولقبه "ابن مطفئة السراج".

أتدعوني الأقيشر ذاك اسمي   وأدعوك ابن مطفئة السراج

ج

رُبَّ نَدْمانٍ كَرِيمٍ مَاجدٍ

رُبَّ نَدْمانٍ كَرِيمٍ مَاجدٍ   سَيِّدِ الجَدَّيْنِ مِنْ فَرْعَيْ مُضَرْ

ج

قّدْ سَقَيْتُ الكَأسَ حَتَّى هَرَّهَا   لَم يُخَالِطْ صَفْوَهَا مِنْهُ كَدَرْ

قُلْتُ : قُمْ صَلِّ ، فَصَلّى قَاعِداً   تَتَغَشّاهُ سَمَادِيرُ السَّكَرْ

قَرَنَ الظّهْرَ مَعَ العَصْرِ كَمَا   تُقْرَنُ الحِقَّةُ بالحِقِّ الذّكَرْ

تَرَكَ «الفَجْرَ» فَمَا يَقْرَأهَا   وَقَرا "الكَوْثَرَ" مِنْ بيْنِ السُّوَرْ

عاهَدَتْ زَوْجَهَا وَقَدْ قَالَ إنِّي

عاهَدَتْ زَوْجَهَا وَقَدْ قَالَ إنِّي   سَوْفَ أغْدُو لحاجَتِي وَلِدَيْنِي

فَدَعَتْ كالحِصَانِ أبْيَضَ جِلْداً   وَافِرَ... مُرْسَلَ الخُصْيَتَيْنِ

قالَ:مَا أجْرُ ذَا؟-هُدِيتِ-فَقَالَتْ:   سَوْفَ أعْطِيكَ أجْرَهُ مَرَّتَيْنِ

فَآبْدَإِ الآن بالسِّــفَاحِ فَلَمَّا   سَافَحَتْهُ أرْضَـتْهُ بالأخْرَبَيْنِ

تَلّها لِلْجَبِينِ ثَمَّ امْتَطَاهَا   عَالِمَ ... أفْحَجَ الحَالِبَيْنِ

بَيْنَمَا ذَاكَ مِنْهُمَا وَهْيَ تَحْوِي   ظَهْرَهُ بِالبَنَانِ وَالمِعْصَمَيْنِ

جَاءهَا زَوْجُهَا وَقَدْ شَامَ فيهَا   ذَا انْتِصَابٍ مُوَثَّقَ الأخْدَعَيْنِ

فَتَأسَّى وقال: وَيْلٌ طَوِيلٌ   لِحُنَيْنٍ مِنْ عَارِ أمِّ حُنَيْنِ

سَأَلْتُ رَبِيعَةَ مَنْ شَرُّها

سَألْتُ رَبِيعَةَ مَنْ شَرُّها   أباً ثَمَّ أمَّاً فَقَالُوا: لِمَهْ

فَقُلْتُ :لأعْلَمَ مَنْ شَرُّكُمْ   وَ أجْعَلَ بالّسبَّ فِيه السِّمهْ

فَقَالُوا: لِعِكْرِمَةَ المُخْزِيَاتُ   وَمَاذَا يَرَى النَّاسُ فِي عِكْرِمَهْ

فَإنْ يَكُ عَبْداً زَكَا مَالُهُ   فَمَا غَيْرُ ذَا فِيهِ مِنْ مَكْرُمَهْ

تَمِيمُ بْنُ مُرَّ كَفْكِفُوا عَنْ تَعَمُّدِي

تَمِيمُ بْنُ مُرَّ كَفْكِفُوا عَنْ تَعَمُّدِي بِذُلٍّ فَإنّي لَسْتُ بِالمُتَذَلِّلِ

أيَهْزَأ بِي العَبْدُ الهُجَيْمِيُّ ضِلّةً وَمِثْلِي رَمَى ذَا التَّدْرَإِ المُتَضَلِّلِ

بِدَاهِيَةٍ دَهْيَاءَ لاَ يَسْتَطِيعُهَا شَمَارِيخُ مِنْ أرْكَانِ سَلْمَى وَيَذْبُلِ

وَبِاللّهِ لَوْلاَ أنَّ حِلمِيَ زَاجِرِي تَرَكْتُ تَمِيماً ضُحْكَةً كُلَّ مَحْفَلِ

فَكُفُّوا رَمَاكُمْ ذَو الجَلاَلِ بِخِزْيَةٍ تُصَبِّحُكُمْ فِي كُلِّ جَمْعٍ وَمَنْزِلِ

فَأنْتُمْ لِئَامُ النَّاسِ لاَ تُنْكِرُونَهُ وَألأمُكُمْ طَرّاً حُرَيْثُ بْنُ جَنْدَلِ

نهايته:

انتهت حياة الأقيشر بمأساة سببها له سلاطةُ لسانه وجرأته على الناس، ونيله من أعراضهم وسبابهم ،فقد تعرض بالهجاء لرجل من قومه أوغرت صدره وأغاظته فدبر له مكيدة، كانت فيها نهايته إذ جمع هذا الرجل غلمانهُ وأمرهم أن يحضروا بعراً وقصباً ويجعلوه في حفرة، وعندما أقبل الأقيشر وهو سكران تكالبوا عليه وأخذوه وشدُوا وثاقه ثم وضعوه في تلك الحفرة، وأشعلوا النار في القصب

والبعر وجعلت الريح تلفح وجهه وجسمه بتلك النار، فأصبح ميتاً.

الحطيئة

هو أبو بكر جرول بن أوس العبسي.

لقب بالحطيئة لقربه من الأرض.

أدرك الجاهلية والإسلام وشارك في حرب الردة. شعره قوي العبارة بديع البناء غزير المعاني.

لا يُعرف له أهل أو أصل أو نسب، لذا عاش مقطوع الجذور مرفوضاً من القبائل الأخرى، يعاني الحرمان، فجعل من شعره سلاحاً ينهش به أعراض الناس ويدفع عدوان الآخرين عليه.

أجاد الحطيئة الهجاء وعرف به وتميز، حتى خافه الناس واضطر كل فرد إلى بذل ما في طاقته لتجنب هجائه حتى أن الخليفة عمر بن الخطاب قرر أن يشتري منه أعراض الناس جميعاً بثلاثة آلاف درهم.

وأغرب ما في هذا الشاعر أنه لم يجد مرة من وما يهجوه فصادف أن شاهد وجهه في بئر فقال:

أبت شفتاي اليوم ألا تكلما بشر فما أرى لمن أنا قائله
ج
أرى لي وجها شوه الله خلقه فقبح من وجه وقبح حامله

حدث أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني أن: الحطيئة لقبٌ لقب به، واسمه جرول بن أوس بن مالك بن جؤية بن مخزوم بن مالك بن

غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار. وهو من فحول الشعراء ومتقدميهم وفصحائهم، متصرفٌ في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب، مجيدٌ في ذلك أجمع، وكان ذا شر وسفهٍ، ونسبه متدافعٌ بين قبائل العرب، وكان ينتمي إلى كل واحدة منها إذا غضب على الآخرين وهو مخضرمٌ أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم ثم ارتد وقال في ذلك.

ويقول :

ويكنى الحطيئة أبا مليكة، وقيل: إن الحطيئة غلب عليه ولقب به لقصره وقربه من الأرض .

تلون الحطيئة وانتسب إلى عدة قبائل ، يقول الأصفهاني :

سمعت خراش بن إسماعيل وخالد بن سعيد يقولان: كان الحطيئة إذا غضب على بني عبس يقول: أنا من بني ذهلٍ، وإذا غضب على بني ذهل قال: أنا من بني عبس.

ويقول : كان الحطيئة مغموز النسب وكان بخيلاً يطرد أضيافه يقول الأصفهاني : أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني قال: مر ابن الحمامة بالحطيئة وهو جالس بفناء بيته، فقال:

السلام عليكم؛ فقال: قلت ما لا ينكر؛ قال: إني خرجت من عند أهلي بغير زاد؛ فقال: ما ضمنت لأهلك قراك؛ قال: أفتأذن لي أن آتي ظل بيتك فأتفيأ به؟ قال: دونك الجبل يفيء عليك؛ قال: أنا ابن الحمامة؛ قال: انصرف وكن ابن أي طائر شئت .

وقيل : أتى رجلٌ الحطيئة وهو في غنم له فقال له: يا صاحب الغنم، فرفع الحطيئة العصا وقال: إنها عجراء من سلم؛ فقال الرجل: إني ضيف؛ فقال: للضيفان أعددتها، فانصرف عنه.

وكان الحطيئة سؤولاً جشعاً، فقدم المدينة وقد أرصدت له قريشٌ العطايا، والناس في سنةٍ مجدبةٍ وسخطةٍ من خليفة، فمشى أشراف أهل المدينة بعضهم إلى بعض، فقالوا: قد قدم علينا هذا الرجل وهو شاعر، والشاعر يظن فيحقق، وهو يأتي الرجل من أشرافكم يسأله فإن أعطاه جهد نفسه بهرها، وإن حرمه هجاه، فأجمع رأيهم على أن يجعلوا له شيئاً معدا يجمعونه بينهم له، فكان أهل البيت من قريش والأنصار يجمعون له العشرة والعشرين والثلاثين ديناراً حتى جمعوا له أربعمائة دينار، وظنوا أنهم قد أغنوه، فأتوه فقالوا له: هذه صلة آل فلانٍ وهذه صلة آل فلان وهذه صلة آل فلانٍ، فأخذها؛ فظنوا أنهم قدٍ كفوه عن المسئلة، فإذا هو يوم الجمعةٍ قد استقبل الإمام ماثلاً ينادي: من يحملني على بغلين وقاه الله كبة جهنم.

وعن شعره قال أبو عبيدة : الحطيئة متين الشعر، شرود القافية

وصيته عند موته

وروي عنه أنه قال: من الذي يقول:

إذا نبض الرامون عنها ترنمت	ترنم ثكلى أوجعتها الجنتئز

ج

قالوا: الشماخ؛ قال: أبلغوا غطفان أنه أشعر العرب؛ قالوا: ويحك! أهذه وصيةٌ! أوص بما ينفعك! قال: أبلغوا أهل ضابىءٍ أنه شاعرٌ

حيث يقول:

لكل جديد لذة غير أنني		رأيت جديد الموت غير لذيذ

ج

قالوا: أوص ويحك بما ينفعك! قال: أبلغوا أهل امرىء القيس أنه أشعر العرب حيث يقول:

فيالك من ليل كان نجومه		بكل مغار الفتل شدت بيذبل

ج

قالوا: اتق الله ودع عنك هذا؛ قال: أبلغوا الأنصار أن صاحبهم أشعر العرب حيث يقول:

يغشون حتى ما تهر كلابهم		لا يسألون عن السواد المقبل

ج

ويروى عنه قوله :

الشعر صعبٌ وطويلٌ سلمه		إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلت به إلى الحضيض قدمه		يريد أن يعربه فيعجمه

ومن شعره :

وطاوي ثلاثٍ عاصبِ البطن مرمل

وَطاوي ثَلاثٍ عاصِبِ البَطنِ مُرمِلٍ		ببيداءَ لَم يَعرِف بِها ساكِنٌ رَسما

أخي جَفوَةٍ فيهِ مِنَ الإِنسِ وَحشَةٌ	يَرى البُؤسَ فيها مِن شَراسَتِهِ نُعمى
وَأفرَدَ في شِعبٍ عَجُوزاً إِزاءها	ثَلاثَةُ أَشباحٍ تَخالُهُمُ بَهما
حفاة عراة ما اغتذوا خبز ملة	ولا عرفوا للبر مذ خلقوا طعما
رَأى شَبَحاً وَسطَ الظَلامِ فَراعَهُ	فَلَمّا بَدا ضَيفاً تَشمَّرَ وَاِهتَمّا
فقال هيا رباه ضيف ولا قرى	بحقك لا تحرمه تالليلة اللحما
وَقالَ اِبنُهُ لَمّا رَآهُ بِحَيرَةٍ	أيا أَبَتِ اِذبَحني وَيَسِّر لَهُ طَعما
وَلا تَعتَذِر بِالعُدمِ عَلَّ الّذي طَرا	يَظُنُّ لَنا مالاً فَيوسِعُنا ذَمّا
فَرَوّى قَليلاً ثَمَّ أجحَمَ بُرهَةً	وَإِن هُوَ لَم يَذبَح فَتاهُ فَقَد هَمّا
فَبَينا هُما عَنَّت عَلى البُعدِ عانَةٌ	قَدِ اِنتَظَمَت مِن خَلفِ مِسحَلِها نَظما

عِطاشاً تُريدُ الماءَ فَانسابَ نَحوَها عَلى أَنَّهُ مِنها إِلى دَمِها أَظما

فَأَمهَلَها حَتّى تَرَوَّت عِطاشُها فَأَرسَلَ فيها مِن كِنانَتِهِ سَهما

فَخَرَّت نَحوصٌ ذاتُ جَحشٍ سَمينَةٌ قَدِ اِكتَنَزَت لَحماً وَقَد طَبِّقَت شَحما

فَيا بِشرَهُ إِذ جَرَّها نَحوَ قَومِهِ وَيا بِشرَهُم لَمّا رَأَوا كَلمَها يَدمى

فَباتَوا كِراماً قَد قَضوا حَقَّ ضَيفِهِم فَلَم يَغرِموا غُرماً وَقَد غَنِموا غُنما

وَباتَ أَبوهُم مِن بَشاشَتِهِ أَباً لِضَيفِهِمُ وَالأُمُّ مِن بِشرِها أُمّا

إِنَّ الخَلِيطَ أَجَدُّوا البَيْنَ فانْفَرَقُوا

إِنَّ الخَلِيطَ أَجَدُّوا البَيْنَ فانْفَرَقُوا و ذاك منهم على ذي حاجةٍ خرقُ

لم يطلعوك على ما في نفوسهمُ و لم يكن لكَ في أَيْمانِهم عَلَقُ

شَكَو قليلاً بأمْرٍ ثمَّ سَرَّحَهُمْ　　جذبُ القرينة والأهواءُ فانصفقوا

كانوا بلَيْلِ عَصَاهُمْ وهْيَ واحِدَة　　فأصبحوا وعصاهم غدوةً شققُ

بَعْدَ المُدَمَّنِ مِنْهُمْ والحُلُولِ لهم　　وسامِرُ الحَيِّ يُدْعَى وَسْطَهُمْ خِرَقُ

والدّهر ليس بمأمونٍ تخالجهُ　　على الأحبّة والأهواءُ تنصفقُ

خافوا الجَنَان وفَرُّوا مِنْ مُسَوَّمَة　　يلوى بأعناقها الكتّانُ والأبقُ

فأصْبَحَ الحَيُّ يُحْدَى بين ذي أُرُلٍ　　وبين أسْفَلَ وادي دَوْمَةِ الحِزَقُ

مُنَكِّبِينَ أفاقاً عن أيَامِنِهم　　وعَنْ شمائلِهِم ذو الغِينَةِ القَرِقُ

تبعتهمْ بصري حتى تضمنهُم　　من الجُمَادِ ووادي الغابةِ البُرَقُ

و في الظعائِنِ لَوْ ألْمَمْتَ بَهْكَنَة　　بالزَّعْفَرَانِ لَعُوبٌ جَيْبُها شَرِقُ

لا تَطّعَمُ الزَّادَ إلا أنْ تُهَبَّ له كما يصادى عليه الطاعم السَّنِق

و لا تأرّى لما في القدر ترصدهُ و لاتقوم بأعلى الفجر تنتطقُ

ثمّ انصرفتُ بمجذامٍ عذافرة سنّ الربيع بها ترعيّةً أنقُ

في عازبٍ نام ليلُ السَّاريات بهِ مِنَ الأوائلِ وانحلَّت به النُّطُقُ

لم يؤذها الصَّيف طوفُ الحالبينَ بها و لم تغطّ عليها الجلّةُ الفنقُ

يسري القرادُ عليها ثمّ تزلقهُ منها مَغَابِنُ مُسْوَدٌّ بها العَرَقُ

تخدي على يسراتْ في فقارتها كأنهنَّ صقوبُ العرعرِ السُّحقُ

قريتها لويني جذبي خزامتها كادت من الرَّحْلِ والأنْسَاعِ تَنْزَلِقُ

لَوْلاَ الجَدِيلُ وأنْسَاعٌ مُظاهَرَة | و الضَّرْبُ بالسَّوْطِ حتّى بَلّهَا العَلَقُ

أَلْقَتْ قَتُوديَ بالمَوْمَاة وانْزَهَقَتْ | كَأَنَّها قَارِبٌ أَقْرَابُهُ لَهِقُ

يطيرُ مروُ ليّان عن مناسِهما | كما تطايَرُ عِنْدَ الجَهْبَذِ الوَرَقُ

أيُّها المَلِكُ الذي أَمْسَتْ لَهُ

يأيُّها المَلِكُ الذي أمْستْ لَهُ | بصرى وغزّة سهلها والأجرعُ

أو ملكها وقسيمها عن أمره | يعطي بأمرك ما تشاء ويمنعُ

أشْكُو إليك فَأشْكِني ذَرَّيَّة | لا يَشْبَعُونَ وأمُّهُمْ لا تَشْبَعُ

كثروا عليَّ فلا يموت كبيرهم | حتّى الحِسَابِ ولا الصَّغِير المُرْضَعُ

و جَفاءَ مَوْلايَ الضَّنينِ بِمَالِهِ | و وُلُوعَ نَفْسٍ هَمُّها بِيَ مُوزَعُ

والحزقة القدمى وأنَّ عشيرتي | زرعوا الحروث وأنّنا لا نزرعُ

فَبُعِثْتَ للشّعراءِ مَبْعَثَ دَاحِسٍ أوْ كالبَسُوسِ عِقالُها يَتَكوَّعُ

ومنعتني شتم البخيل فلم يخفْ شتمي فأصبحَ آمناً لا يفزعُ

وأخَذْتَ أطْرَارَ الكَلامِ فَلَمْ تَدَعْ شتماً يضرُّ ولا مديحاً ينفعُ

و بُعِثْتَ للدُّنْيَا تُجمَّعُ مَالَها وتصُرُ خرقتها ودأباً تجمعُ

ومنعتَ نفسك فضلها ومنعتها أهْلَ الفَعال فأنت شَرٌّ مُولعُ

حتى يجيء إليك علجٌ نازحٌ فيُصِيب عَفْوَتَها وعَبْدٌ أوْكَعُ

و العَيْلَةُ الضَّعْفَى ومَنْ لا خَيْرُهُ خَيْرٌ ومِثْلُهُمُ غُثَاءٌ أَخْمَعُ

أَمٌّ زَعَمْتَ لهم وماتَتْ أَمُّهُمْ في عهد عادٍ حين مات التَّبَّعُ

فَلَتُوشِكَنَّ وأنْتَ تَزْعُمُ أَمُّهُمْ أنْ يَرْكبُوكَ بِثِقْلِهِم أو يَرْضِعُوا

و أرَى الذين حَوَوْا تُراثَ محمّد أفلتْ نجومهمُ ونجمكَ يسطعُ

الخنساء

هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد السلمي، ولقبت بالخنساء لقصر أنفها وارتفاع أرنبتيه .

وتعد من المخضرمات لأنها عاشت في عصرين عصر الجاهلية وعصر الإسلام. وبعد ظهور الإسلام أسلمت وحسن إسلامها.

نشأت في بيت عز وجاه في كنف والديها وأخويها معاوية وصخر وعرفت بحرية الرأي وقوة الشخصية ، يدل على ذلك رفضها الزواج من دريد بن الصمة أحد فرسان بني جشم لأنها آثرت الزواج من أحد بني قومها، فتزوجت من ابن عمها رواحة بن عبد العزيز السلمي، إلا أنها لم تدم طويلا معه لأنه كان يقامر ولا يكترث بماله، لكنها أنجبت منه ولدا.

ثم تزوجت بعد ذلك من ابن عمها مرداس بن أبي عامر السلمي وأنجبت منه أربعة أولاد وهم: يزيد ومعاوية وعمرو وعمرة.

لما قُتل معاوية أخوها على يد هاشم ودريد ابنا حرملة حرّضت الخنساء أخاها صخرا على الأخذ بثأر أخيه، فقام بقتل دريد. ولكن صخرا أصيب بطعنة دام إثرها حولاً كاملاً وتوفي في يوم كلاب ، فبكت الخنساء على أخيها صخر قبل الإسلام وبعده حتى عميت .

وفي الإسلام حرّضت الخنساء أبناءها الأربعة على الجهاد وقد رافقتهم مع الجيش زمن عمر بن الخطاب، وأوصتهم قائلة لهم :

" يا بني إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين، ووالله الذي لا إله إلا هو إنكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية.

وأصغى أبناؤها إلى كلامها، فذهبوا إلى القتال واستشهدوا جميعا في موقعة القادسية .

وعندما بلغ الخنساء خبر وفاة أبنائها لم تجزع ولم تبك، ولكنها صبرت، فقالت قولتها المشهورة:

" الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته". ولم تحزن عليهم كحزنها على أخيها صخر ، فقد كانت تحبه حباً لا يوصف ، لبره بها وعطفه عليها ووقوفه بجانبها في كثير من الأزمات التي واجهتها .

ولما بلغها موته قالت: كيف كان صبره؟ فقال صخر في ذلك:

أجارتنا إن الخطوب تنوب   على الناس، كل المخطئين تصيب

فإن تسأليني هل صبرت فإنني   صبور على ريب الزمان صليب

كأني وقد أدنوا إلي شفارهم من الصبر دامي الصفحتين ركوب

أجارتنا لست الغداة بظاعن ولكن مقيم ما أقام عسيب

عسيب: جبل بأرض بني سليم إلى جنب المدينة، فقبره هناك معلم.

وقال أبو عبيدة: فمات فدفن هناك، فقبره قريب من عسيب.

ومما قالته في رثاء صخر :

أعيني جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى

ألا تبكيان الجريء الجميل ألا تبكيان الفتى السيدا

طويل النجاد رفيع العما د ساد عشيرته أمردا

إذا القوم مدوا بأيديهم إلى المجد مد إليه يدا

فنال الذي فوق أيديهم من المجد ثم مضى مصعدا

يحمله القوم ما عالهم وإن كان أصغرهم مولدا

ترى المجد يهوي إلى بيته يرى أفضل المجد أن يحمدا

وإن ذكر المجد ألفيته تأزر بالمجد ثم ارتدى

ولها في رثائه :

يؤرقني التذكر حين أمسي فأصبح قد بليت بفرط نكس

على صخر وأي فتى كصخر ليوم كريهة وطعان خلس

يذكرني طلوع الشمس صخراً وأذكره لكل غروب شمس

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

ولكن لا أزال أرى عجولا ونائحة تنوح ليوم نحس

أراها والها تبكي أخاها عشية رزئه أو غب أمسي

وما يبكون مثل أخي، ولكن أعزي النفس عنه بالتأسي

فلا، والله، لا أنساك حتى أفارق مهجتي ويشق رمسي

فيا لهفي عليه، ولهف نفسي أيصبح في التراب وفيه يمسي؟

جَرى ليَ طيرٌ فِي حمامٍ حذرتهُ

جَرى لِيَ طيرٌ فِي حمامٍ حذرتهُ
عليكَ ابنَ عمرٍو منْ سنيحٍ وَبارحِ

فلمْ ينجِ صخراً مَا حذرتُ وَغالهُ
مواقعُ غادٍ للمنونِ ورائحِ

رَهينةُ رَمْسٍ قد تَجرّ ذَيولها
علَيهِ سوافي الرّامساتِ البَوارحِ

فيا عينِ بكّي لأمرىءٍ طارَ ذكره
لهُ تبكي عينُ الرَّاكضاتِ السَّوابحِ

وَكلُّ طويلِ المتنِ اسمرَ ذابلٍ
وَكلُّ عتيقٍ فِي جيادِ الصَّفائحِ

وَكلُّ دلاصٍ كالاضاةِ مذالةً
وَكلُّ جوادٍ بّين العتقِ قارحِ

وكلّ ذَمُولٍ كالفَنيقِ شِمِلّةٍ
وكلّ سريعٍ، آخرَ اللّيلِ، آزِحِ

وللجارِ يوماً إنْ دَعا لمَضيفَةٍ
دعَا مستغيثاً اوَّلاً بالجوابحِ

أخو الحَزْمِ في الهَيجاءِ والعزْمِ في التي
لوقعتهَا يسودُّ بيضُ المسايحِ

حسيبٌ لبيبٌ متلفٌ مَا افادهُ
مُبيحُ تِلادِ المُسْتَغشّ المكاشِحِ

لقد واصلْتُ سلْمى في لَيالٍ

لقد واصلْتُ سلْمى في لَيالٍ	وأيّامٍ وعَيْشٍ غيرِ عَشِّ
لقد هازلتُها في يومِ دَجْنٍ	على عتقٍ من الديباج فرش
كأن مدامةً ورضاب مسكٍ	وكافوراً ذكيّاً لم يُغشّ
تُعِلُّ به ثنايا بارداتٌ	كَلَوْنِ الأقحوان غداة طَشِّ
تُحيرُ بِنَقْشِ سُنَّتِها- إذا ما	بدت يوماً - محاسن كل نقش
تبذ العين إن قعدت جمالاً	وتنطق من رآها حين تمشي
إذا ارتجت روادفها تهادت	مبتلةً شواها غير حمش
عليْها الدرُّ نيطَ لها شُنوفاً	كبيض ضئيلةٍ في جوف عش
أجادَ بِها بُحورٌ من بُحورٍ	وعِينٌ من نساءٍ غيرِ عُمْشِ
كشمس الصيف غرتها ضياءٌ	يكاد شعاعها في البيت يعشي
كأني شاربٌ يوم استقلت	دماء ذرارحٍ وسمام رقش

فأضحت دارها منها قفاراً قطوع الود لا ترشي لمرشي

وغير آي دمنتها غيوتٌ تُعِجُّ التلْعَ من وبلٍ بِحفْشِ

سقى ماء الندى منها رياضاً وسارحة ً مع اليوم المرش

بها نورٌ من الأزواج شتى تجول بها أوابد كل وحش

ومن جأب النسالة أخدري ومن شَخْصٍ ترودُ وأمُّ جَحش

ومن عيناء راتعةٍ وأخرى إذا رَبضَتْ تردُّ رجيعَ كِرْشِ

وظلمانٌ تقود لها رئالاً كأن نعامهن سبي حبش

ولستُ إذا عرا ظَلمي صديقي إذا ما دامَ من وُدّي بِبَشِّ

وأنصحُ للنصيحِ إذا استراني وأرفِدُ ذا الضغينة شرَّ غِشِّ

وتأتيني قَوارِصُ عن رجالٍ فأبلُغُ حاجتي في غيرِ فُحْشِ

وأَدرِكُ صالحَ الأوتارِ عَفْواً بعون الله في طلبي ونجشي

أبى لي ما غلبت به الأعادي   عطاء الله من شعري وبطشي

فلا يخشى ذَوو الأحلامِ جَهْلي   ولا أرعي على البذخ الغطمش

أهش لحمد قومي كل يومٍ   ولسْتُ إلى ملامَتِهِمْ بِهَشِّ

وَجَدْتُ أبا رَبيعةَ فوقَ بَكْرٍ   كما علت البلاد بنات نعش

نغدّي الضيف من قَمَعِ المَتالي   سَديفاً مُشْبِعاً منه يُعَشّي

ونَحمِلُ كُلَّ مُضْلِعَةٍ وعَقْلٍ   ونضرب في الكتيبة كل كبش

ونضرب من تعرض موضحاتٍ   علانيةً جهاراً غير غطش

هم المستقدمون إلى المنايا   وقد لَبِسوا سِلاحاً غيرَ وَخْشِ

سأعْني مَنْ عنى قومي بِسوءٍ   ولا يبلى إذا رجمت خدشي

وليلٍ قد قطعت وخرق تيهٍ   على هَوْلٍ بذي خُصَلٍ لَجُشِّ

أَقَدِّمُهُ يجوبُ بيَ الحُدابى   على ثَبَجٍ من الظلماءِ جَرْشِ

ولولا اللهُ ليسَ لهُ شريكٌ   إلهُ الناسِ ذو مُلْكٍ وعَرشِ

لباكرني من الخُرطومِ كأسٌ   تكادُ سُؤورُ نَفْحتها تُنَشّي

تَدُبُّ لها حُمّيا حين تَنْمي   وينفحُ ريحُها عند التجشّي

يُباعُ الكأسُ منها غيرَ صِرْفٍ   بصافيةٍ من الأوراقِ حُرْشِ

وإنَّ خلائقي حَسُنَتْ وطابَتْ   كِرامٌ لا يُسَبُّ بِهِنَّ نعشي

آذَنَ اليومَ جِيرتي بارتحالِ

آذَنَ اليومَ جِيرتي بارتحالِ   وبِبَيْنٍ مُودَّعٍ واحتمالِ

وانتضوا أينق النجائب صعراً   أخَذوها بالسَّيْر بالإرقالِ

وَاعْتَلَوْا كلَّ عَيْهَمٍ دَوْسَرِيٍّ   أرحبي يبذ وسع الجمال

فكأن الرياض أو زخرف المجـ   ـدَلِ مِنْها على قُطوعِ الرحالِ

عدلوا بينها وبين عتاقٍ   مُقْرَباتٍ تُصانُ تحتَ الجِلالِ

فهي قبٌّ كأنهن ضراءٌ كقداح المفيض أو كالمغالي

خَرَجوا أنْ رَأوْا مَخيلَةَ غَيْثٍ من قصورٍ إلى رياض أثال

يومَ بانوا بكلِّ هيفاءَ بِكْرٍ ورَداحٍ وطَفْلةٍ كالغَزالِ

بكراتٌ أدمٌ أصبن ربيعاً أو ظباءٌ أوْ رَبْرَبٌ في رِمالِ

فَهْيَ بيضٌ حُورٌ يُبَسِّمْنَ عن غُرْ رٍ وأنيابُهُنَّ شَوْكُ السِّيالِ

جاعلاتٌ قطفاً من الخز والبا غز حول الظباء فوق البغال

جازئاتٌ جمعن حسناً وطيباً وقَواماً مِثّلَ القَنا في اعْتدالِ

غص منها بعد الدماليج سورٌ والخلاخيلُ والنَّحور حَوالِ

فكأن الحلي صيغت حديثاً يتألقن أو جلاهن جال

ثَمَّ زَفَّتْ تعدو بِزقٍّ جِفالِ مخطفات البطون ميث النوالي

لثن خمراً على عناقيد كرمٍ يانعاتٍ أتْمِمْنَ في إكمالِ

فهي تُبدي طوْراً وتُخفي وُجوهاً　　كل وجهٍ أغر كالتمثال

كالدمى حسنهن أربهى على الحسـ　　ـن ويضعفن في تقىً وجمال

لابساتٌ غض الشباب جديداً　　مثقلاتٌ تنوء بالأكفال

جاعلاتٌ من الفرند دروعاً　　والجلابيب من طعام الشمال

يتأزرن بالمروط من الخـ　　ـزِ ويَرْكُلْنَها بِسُوقٍ خِدالِ

فإذا مامشين مالت غصونٌ　　مِلْنَ نحوَ اليمينِ بَعْدَ الشِّمالِ

يَتَقَتلْنَ لِلْحليمِ مِنَ القَوْ　　م فيسبينه بحسن الدلال

وإذا مارمينه جانبياً　　أو عشيراً أَقْصَدْنَهُ بالنِّبالِ

ولقد قُلتُ يومَ بانوا بصرمٍ　　كيف وَصْلي من لا يُجِدُّ وصالي

وإذا ما انطوى أخٌ ليَ دوني　　فجديرٌ إن صَدَّ أنْ لا أبالي

كل ما اختصتني به الله ربي　　ليس من قوتي ولا باحتيالي

لو أطيع الشموع أو تعتليني زل حلمي ولامني عذالي

وإذا ماذكرت صرف المنايا كادِّكارِ الحَزينِ في الأطلالِ

كل عيشٍ ولذةٍ ونعيمٍ وحياةٍ تودي كفيء الظلال

كَفَّني الحِلْمُ والمشيبُ وَعَقْلي ونهى اللهِ عَنْ سبيلِ الضلالِ

وأرى الفقر والغنى بيد اللـ ـهِ وَحَتْفَ النَّفوسِ في الآجالِ

ليس ماءٌ يروى به متعفوه واتنٌ لا يغور، كالأوْشالِ

قد يغيض الفتى كما ينقص البد ر وكلٌ يصير كالمستحال

فمحاقٌ هذا وهذا كبيرٌ بعدما كان ناشئاً كالهلال

ليس يغني عنه السنيح ولا البر ح ولا مشفقٌ زمام قبال

فإذا صارَ كالبَلِيَّةِ قَحْماً هو مر الأيام بعد الليالي

وكَسَتْهُ السِّنونَ شيباً وضَعْفاً وطَوَتْ خَطْوَهُ بِقَيْدٍ دِخالِ

عادَ كالضَّبِّ في سنينَ مُحُولٍ عادَ في حُجْرِهِ حليفَ هُزالِ

ليس حي يبقى وإن بلغ الكبـ ـرة إلا مصيره لزوال

كلُّ ثاوٍ يَثْوي لحينِ المنايا كجزورٍ حبستها بعقال

إن تمت أنفس الأنام فإن الـ ـله يبقى وصالحَ الأعمالِ

كلُّ ساعٍ سعى لِيُدْرِكَ شيْئاً سَوْفَ يأتي بِسَعْيِهِ ذا الجَلالِ

فَهُمُ بينَ فائِزٍ نالَ خَيْراً وشقي أصابه بنكال

فولاة الحرام من يعمل السو ءَ عدوٌّ حربٌ لابنِ الحلالِ

إنَّ مَنْ يركَبُ الفواحشَ سِرّاً حين يخلو بسوءةٍ غير خال

كَيْفَ يَخْلو وعندَهُ كاتِباهُ شاهدَيْهِ ورَبُّهُ ذو المِحالِ

فاتق الله مااستطعت وأحسن إنَّ تقوى الإلهِ خيرُ الخِلالِ

وإذا كنت ذا أناةٍ وحلمٍ لم تَطِرْ عِندَ طَيْرةِ الجُهّالِ

وإذا ما أذَلْتَ عِرْضَك أودى   وإذا صِينَ كانَ غيرَ مُذالِ

ثَمَّ قُلْ للمُريد حَوْلَ القوافي: إن بعض الأشعار مثل الخبال

أثْقِفِ الشِّعْرَ مرّتين وأطنِبْ   في صُنوف التشبيبِ والأمْثالِ

وفلاةٍ كأنها ظهر ترسٍ   عُودُه واحدٌ قديمُ المِطالِ

حَوْمةٍ سَرْبَخٍ يَحارُ بها الرَّكْـ   ـب تنوفٍ كثيرة الأهوال

جبت مجهولها وأرضٍ بها الجـ   ـن وعقد الكثيب ذي الأميال

وعَدابٍ منْ رَملةٍ ودَهَاسٍ   وجِبالٍ قَطَعتُ بَعْدَ جِبالِ

وَسُهوبٍ وكلِّ أبطحَ لاخٍ   ثم آلٍ قد جبت من بعد آل

بعقامٍ أجدٍ تقلج بالرا   كِبِ عَنْسٍ جُلالةٍ شِمْلالِ

عيسجورٍ كأنها عرمس الوا   دي أمونٍ تزيفُ كالمُختالِ

فإذا هجتها وخافت قطيعاً   خَلَطَتْ مَشْيَها بِعَدْو نِقالِ

كذعورٍ قرعاء لم تعل بيضاً ذات نأيٍ ليست بأم رئال

خَدَّ في الأرضِ مَنْسِماها وزَفَّتْ

فهي تهفو كالرِّمْثِ فوق عَمودَيْـ ـنِ عَلَتْهُ مُسْوَدَّةُ الأَسْمالِ

وَهْيَ تَسْمو بِذي بلاعيمَ عُوجٍ أصقع الرأس كالعمود الطوال

فيها كالجنون أو طائف الأو لقِ مِنْ ذَعْرِ هَيْقةٍ مِجْفالِ

أو كجأبٍ مكدمٍ أخدري حول أتنٍ لواقح وحيال

يَرْتَمي الريحَ من سَماحيجَ قُبٍّ بِنُسالٍ تطيرُ بعدَ نُسالِ

فرعاها المصيف حتى إذا ما رَكدَ الخاطِراتُ فَوْقَ القِلالِ

حثها قارحٌ فجالت جميعاً خشيةً من مكدمٍ جوال

فهو منها وهن قودٌ سراعٌ كرقيب المفيض عند الخصال

سحره دائمٌ يرجع يحدو ها مصرٌ مزايلٌ للفحال

فإذا استاف عوذاً قد أقصت ضَرَحَتْهُ تَشيعُ بالأبْوالِ

وكأنَّ اليَراعَ بين حَوامٍ حينَ تعْلو مَرْوٌ وسُرْجُ ذِبالِ

ونحاها للورد ذات نفوسِ
نحو ماءٍ بالعرق حتى إذا ما نَقَعَتْ أنْفُساً بِعَذْبٍ زُلالِ

عرفَ الموتَ فاستغاثَ بأفْنٍ ذي نَجاءٍ عَطَّ الحَنيفِ البالي

فهو يهوي كأنه حين ولى حَجَرُ المِنْجَنيقِ أو سَهْمُ غالِ

ذاك شبهته وصاحبة الـ فِ قَلوصي بعدَ الوَجا والكَلالِ

تَنْتَوي من يزيدَ فضلَ يَدَيْهِ أرْيحيّاً فَرْعاً سَمينَ الفَعالِ

حَكَمِيّاً بين الأعاصي وحَرْبٍ أبطحي الأعمام والأخوال

أمَّهُ مَلْكةٌ نَمَتْها ملوكٌ وهي أهل الإكرام والإجلال

أمها بنت عامر بن كريزٍ وأبوها الهمام يوم الفضال

تلك أمٌ كست يزيد بهاءً وجمالاً يبذ كل جمال

وأبوه عبد المليك نماه زاد طولاً على الملوك الطوال

فَهْوَ مَلْكٌ نَمَتْهُ أيضاً مُلوكٌ خير من يحتذي رقاق النعال

حالف المجد عبشمياً إماماً حل داراً بها تكون المعالي

أريحيّاً فرْعاً ومعقِلَ عِزٍّ قَصُرَتْ دونَهُ طِوالُ الجِبالِ

أعطيَ الحِلْمَ والعَفافَ مع الجو د ورأياً يفوق رأي الرجال

وحباهُ المَليكُ تقوًى وبِرّاً وهو من سوس ناسكٍ وصال

يقطعُ الليلَ آهَةً وانْتِحاباً وابْتهالاً للهِ أيَّ ابْتهالِ

راعَهُ ضَيْغمٌ من الأَسْدِ وَرْدٌ جا بِلَيْلٍ يهيسُ في أدْغالِ

تارةً راكعاً وطوراً سجوداً ذا دموعٍ تنهل أي انهلال

وله نحبةٌ إذا قام يتلو سوراً بعد سورة الأنفال

عادِلٌ مُقْسِطَ وميزانُ حَقٍّ لم يحف في قضائه للموالي

مُوفِياً بالعُهودِ من خَشْية اللا هِ ومَنْ يَعْفُهُ يكنْ غَيْرَ قالِ

مُحْسِنٌ مُجْمِلٌ تَقِيٌّ قَوِيٌّ   وهو أهل الإحسان والإجمال

ليس بالواهن الضعيف ولا القحـ   ـم ولا مودنٍ ولا تنبال

تم منه قوامه واعتدال الـ   ـخَلْقِ والرأيُ بالأمورِ الثقالِ

وهو من يعفه ينخ بكريمٍ   يَلْقَ جُوداً مِنْ ماجِدٍ مِفْضالِ

مثل جود الفرات في قبل الصيـ   ـفِ تَرامى تيّارُهُ بالجُفالِ

فَهْوَ مُغْلَولِبٌ وَقَدْ جَلّلَ العِبْـ   ـرَيْنِ ماءٌ يُفيضُه غيرَ آلِ

فإذا ماسما تلاطم بالمو   ج جوادٌ كالجامح المستشال

فهو جون السراة صعبٌ شموسٌ   سار منه تيار موجٍ عضال

كَبَّ مِنْ صَعْنَباءَ نخلاً ودُوراً   وارتمى بالسفين والموج عال

وتَسامَتْ منهُ أواذيٌّ غُلْبٌ   كَفِحالٍ تَسْمو لِغُلبِ فِحالِ

غير أن الفرات ينضب منه   ويزيدٌ يزداد جود نوال

وَهْوَ إنْ يعْفُهُ فِئامٌ شُعوبٌ   يبتد المعتفين قبل السؤال

ويذد عنهم الخلالة منه   بِسِجالٍ تَغْدو أمامَ سِجالِ

فإذا أَبْرِزَتْ جِفانٌ من الشِّيـ   ـزى وفيها سَديفُ فَوْقَ المَحالِ

قتل الجوع والهزال فبادا   حين هر العفاة شحم المتالي

وكأن الترعيب فيها عذارى   خالصاتُ الألوانِ إلْفُ الحِجالِ

الراعي النميري

عُبَيد بن حُصين بن معاوية بن جندل، النميري، أبو جندل.

من فحول الشعراء المحدثين، كان من جلّة قومه، ولقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل وكان بنو نمير أهل بيتٍ وسؤدد.

وقيل: كان راعَي إبلٍ من أهل بادية البصرة.

عاصر جريراً والفرزدق وكان يفضّل الفرزدق فهجاه جرير هجاءاً مُرّاً وهو من أصحاب الملحمات.

وسماه بعض الرواة حصين بن معاوية.

من شعره :

يا أهلِ ما بالُ هذا اللّيلِ في صفرِ
يَزْدادُ طُولاً وَمَا يَزْدادُ منْ قِصَرِ

فِي إثْرِ مَنْ قُطَعتْ مِنِّي قَرِينَتُهُ
يوْمَ الْحدَالَى بِأسبَابٍ منَ الْقدَرِ

كَأنَّمَا شُقَّ قَلْبي يَوْمَ فَارقَهُتمْ
قِسْمَيْنِ بَيْنَ أخي نَجْدٍ وَمُنْحَدِرِ

همُ الأحبّةُ أبكي اليومَ إثرهمُ
قدْ كنتُ أطربُ إثرَ الجيرةِ الشّطرِ

فَقُلتُ والْحَرَّةُ الرَّجْلاَءُ دُونَهُمُ
وبطنُ لجّانَ لمّا اعتادني ذكري

صَلّى عَلَى عَزَّةَ الرَّحْمنُ وَابْنَتِهَا
ليلى وصلّى على جاراتها الأخرِ

هنَّ الحرائرُ لا ربّاتُ أحمرةٍ
سودُ المحاجرِ لا يقرأنَ بالسّورِ

وارينَ وحفًا رواءً في أكمّتهِ
مِنْ كَرْمِ دُومَةَ بَيْنَ السَّيْحِ وَالْجُدُرِ

تلقى نواطيرهُ في كلِّ مرقبة
يَرْمُونَ عَنْ وَارِدِ الأفْنَانِ مُنْهَصِرِ

يَسْبِينَ قَلْبِي بِأطْرَافٍ مُخَضَّبَةٍ وبالعيونِ وما وارينَ بالخمرِ

عَلى تَرَائبِ غزْلاَنٍ مُفَاجَأة ريعتْ فأقبلنَ بالأعناقِ والعذرِ

لا تعمَ أعينُ أصحابٍ أقولُ لهمْ بالأنبطِ الفردِ لمّا بذّهمْ بصري

هل تؤنسونَ بأعلى عاسمٍ ظعنًا ورّكنَ فحلينِ واستقبلنَ ذا بقرِ

بَيَّنَهُنَّ بِبَيْنٍ مَا يُبَيِّنُهُ صحبي وما بعيونِ القومِ منْ عورِ

يَبدُونَ حِيناً وَأحْيَاناً يُغَيِّبُهُمْ مِني مَكامِنُ بيْنَ الْجَرِّ والْحَفَرِ

تَحدُو بِهِمْ نَبَطَ صُهْبٌ سِبَالُهُمُ منْ كلِّ أحمرَ منْ حورانَ مؤتجرِ

عومَ السّفينِ على بختٍ مخيّسة والْبُخْتُ كَاسِيَة الأعْجَازِ وَالْقَصَرِ

كأنَّ رِزَّ حدَاةٍ في طَوَائِفِهِمْ نوحُ الحمامِ يغنّي غايةَ العشرِ

أتبعتُ آثارهمْ عينًا معوّدةً سَبْقَ الْعُيُونِ إذَا اسْتُكْرِهْنَ بِالنَّظَرِ

وبازلٍ كعلاةِ القينِ دوسرة كأنّها ناشطَ حرٌّ مدامعهُ

لَمْ يُجْذِ مِرْفَقُهَا في الدِّفْءِ مِنْ زَوَرِ منْ وحشِ حبرانَ بينَ القنعِ والضفرِ

بَاتَ إلَى هَدَفٍ فِي لَيْلِ سَارِيَة يَغْشَى الْعِضَاةَ بِرَوْقٍ غَيْرِ مُنْكَسِرِ

يخاوشُ البركَ عنْ عرقٍ أضرَّ بهِ تجافيًا كتجافي القرمِ ذي السّررِ

إذَا أتى جَانِباً مِنْها يُصَرِّفُه تَصَفَّقُ الرِّيحِ تَحْتَ الدِّيمَة الدِّرَرِ

حتّى إذا ما انجلتْ عنهُ عمايتهُ وقلّصَ اللّيلُ عنْ طيّانَ مضطمرِ

غدا كطالبِ تبلٍ لا يورّعهُ دُعَاءُ دَاعٍ وَلاَ يَلْوِي عَلَى خَبَرِ

فَصبَّحَتْهُ كلاَبُ الْغوْثِ يُؤْسِدُهَتا مستوضحونَ يرونَ العينَ كالأثرِ

أوْجَسَ بِالأذْنِ رِزّاً مِنْ سَوَابِقِهَا فجالَ أزهرُ مذعورٌ منَ الخمرِ

واجتازَ للعدوة القصوى وقدْ لحقتْ غضفٌ تكشّفُ عنها بلجة السّحرِ

فكرَّ ذو حوزةٍ يحمي حقيقتهُ كصاحبِ البزِّ منْ حورانَ منتصرِ

فَظَلَّ سَابِقُهَا في الرَّوْقِ مُعْتَرِضاً كَالشَّنِّ لاَقَى قَنَاةَ اللاَّعِبِ الأَشِرِ

فردّها ظلعًا تدمى فرائضها لمْ تدمَ فيهِ بأنيابٍ ولا ظفرِ

فَظَلَّ يَعْلُو لِوَى دِهْقَانَ مُعْتَرِضاً يَرْدي وأظّلاَفُهُ صُفْرٌ مِنَ الزَّهَرِ

أذَاكَ أمْ مِسحَلٌ جوْنٌ بِهِ جُلَبٌ منَ الكدامِ فلا عنْ قرّحٍ نزرِ

قُبِّ الْبُطَونِ نَفَى سِرْبَالَ شِقْوَتِهَا سِرْبَالُ صَيْفٍ رَقِيقٍ لَيِّنُ الشَّعَرِ

لمْ يبرِ جبلتها حملٌ تتابعهُ بَعْدَ اللَطَامِ وَلمْ يَغْلُظّنَ مِنْ عُقُرِ

كَأنَّها مُقطَ ظَلَتْ عَلَى قِيَمٍ منْ ثكدَ واعتركتْ في مائهِ الكدرِ

شقْرٌ سمَاوِيَّةٌ ظَلتْ مُحَلأة بِرِجْلَةِ التَّيْسِ فَالرَّوْحَاءِ فالأمَرِ

كانتْ بجزءٍ فملّتها مشاربهُ وأخلفتها رياحُ الصّيفِ بالغدرِ

فَرَاحَ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ يَصْفِقُهَا صفقَ العنيفِ قلاصَ الخائفِ الحذرِ

يخرجنَ باللّيلِ منْ نقعٍ لهُ عرفٌ	بِقَاعِ أمْعَطَ بَيْنَ السَّهْلِ والصِّيرِ
حتّى إذا ما أضاءَ الصّبحُ وانكشفتْ	عَنْهُ نَعَامَةُ ذي سِقْطَيْنِ مُعْتَكِرِ
وصبّحتْ بركَ الرّيانِ فاتّبعتْ	فيهِ الجحافلُ حتّى خضنَ بالسّررِ
حتّى إذا قتلتْ أدنى الغليلِ ولمْ	تَملأْ مَذَاخِرَهَا لِلرِّيِّ والصَّدَرِ
وَصاحِبَا قُتْرَةٍ صُفْرٌ قِسِيُّهُمَا	عِنْدَ الْمَرَافِقِ كالسِّيدَيْنِ في الْحُجرِ
تنافسا الرّميةَ الأولى ففازَ بها	مُعَاوِدُ الرَّمْيِ قَتَّالٌ عَلَى فقَرِ
حتى إذا ملأ الكفّينِ أدركهُ	جَدٌّ حَسُودٌ وَخَانَتْ قُوَّةُ الْوَتَرِ
فَانْصَعْنَ أسْرَعَ مِنْ طَيْرٍ مُغَاوِلَة	تَهوي إلى لأبةٍ منْ كَاسِرٍ خَدِرِ
إذَا لَقينَ عَرُوضاً دُونَ مَصْنَعةٍ	ورّكنَ منْ جنبها الأقصى لمحتضرِ
فَأطّلَعَتْ فُرْزَةَ الآجَامِ جَافِلَة	لمْ تدرِ أنّى أتاها أوّلُ الذّعرِ
فأصبحتْ بينَ أعلامٍ بمرتقبٍ	مُقْوَرَّةً كَقِدَاحِ الْغَارِمِ الْيَسَرِ

يجتابُ أذراها والتّربُ يركبهُ   ترسمَ الفارطِ الظّمآنِ في الإثرِ

أفي أثرِ الأظعانِ عينكَ تلمحُ؟

أفي أثرِ الأظعانِ عينكَ تلمحُ؟   نَعَمْ لاَتَ هَنَّا إنَّ قَلْبَكَ مِتْيحُ

ظَعَائِنُ مِنْنَافٍ إذَا مَلَّ بَلْدَة   أقامَ الرِّكابَ بَاكرٌ مُتَرَوِّحُ

منَ المتبعينَ الطّرفَ في كلِّ شتوةٍ   سنا البرقِ يدعوهُ الرّبيعُ المطّرحُ

يسامي الغمامَ الغرَّ ثمَّ مقيلهُ   مِنَ الشّرَفِ الأعْلَى حِسَاءٌ وَأبْطَحُ

رعينَ قرارَ المزنِ حيثُ تجاوبتْ   مذَاكٍ وأبْكَارٌ مِنَ الْمزْنِ دُلَّحُ

بِلاَدٌ يَبُزَّ الْفَقْعُ فِيهَا قِنَاعَهُ   كَمَا كبْيَضَّ شَيْخٌ مِنْ رِفَاعَةَ أجْلَحُ

فَلَمَّا انْتَهَى نَيُّ الْمَرابِيعِ أزْمَعَتْ   خُفُوفاً وَأوْلاَدُ الْمصَايِيفِ رُشَّحُ

رماهَ السّفا واعتزّها الصيفُ بعدما   طَبَاهُنَّ رَوْضٌ مِنْ زُبَالَةَ أفْيَحُ

وَحَارَبتِ الْهَيفُ الشِّمَالَ وآذَنَتْ   مذَانِبُ مِنْهَا اللّدْنُ والْمُتَصَوِّحُ

تَحَمَّلْنَ مِنْ ذَاتِ التَّنَانِيرِ بَعْدَمَا ... مضى بينَ أيديها سوامٌ مسرّحُ

وعالينَ رقماً فوقَ رقمٍ كسونهُ ... قنا عرعرٍ فيهِ أوانسُ وضّحُ

عَلى كُلِّ عَجْعَاجٍ إذَا عَجَّ أقْبَلَتْ ... لهاةٌ تلاقيها مخالبُ كلّحُ

تبصرتهمْ حتّى إذا حالَ دونهمْ ... رُكَامٌ وَحادٍ ذَو غَذَامِيرَ صَيْدَحُ

وقلنَ لهُ حثّ الجمالَ وغنّها ... بِصَوْتِكَ والْحَادِي أحَثّ وأنْجَحُ

بإِحْدَى قَيَاقِ الْحَزْنِ في يَوْمِ قُتَّمَةٍ ... وضاحي السّرابِ بيننا يتضحضحُ

تواضعُ أطرافُ المخارمِ دونهُ ... وتبدو إذا ما غمرةُ الآلِ تنزحُ

فَلمَّا دَعَا دَاعِي الصَّبَاحِ تَفَاضَلَتْ ... بركبانها صهبُ العثانينِ قرّحُ

تدافعهُ عنّا الأكفُّ وتحتهُ ... مِنَ الْحَيِّ أشْبَاحٌ تَجُولُ وَتَمْصَحُ

فَلَمَّا لَحِقْنَا وازْدَهَتْنَا بَشَاشَة ... لإتيانِ منْ كنّا نودُّ ونمدحُ

أَتَتْنَا خُزَامَى ذَاتُ نَشْرٍ وَحَنْوَةٌ ... وراحٌ وخطّامٌ منَ المسكِ ينفحُ

فنلنا غراراً منْ حديثٍ نقودهُ كما اغبرَّ بالنّصِّ القضيبُ المسمّحُ

نُقَارِبُ أفْنَانَ الصِّبَى وَيَرُدُّنَا حياءٌ إذا كدنا نلمّ فنجمحُ

حَرَائِرُ لاَ يَدْرِينَ مَا سُوءُ شِيمَةٍ وَيَتْرُكْنَ مَا يُلْحَى عَلَيْهِ فَيُفْصِحُ

فأعجلنا قربُ المحلِّ وأعينٌ إلينا فخفناها شواخصُ طمّحُ

فَكَائِنْ تَرَى في الْقَوْمِ مِنْ مُتَقَنِّع على عبرةٍ كادتْ بها العينُ تسفحُ

لهُ نَظَرَتانِ نَحْوَهُنَّ وَنَظْرَةٌ إلينا فللهِ المشوقُ المترّحُ

كَحَرَّانَ مَنْتُوفِ الذَرَاعَيْنِ صَدَّهُ عَنِ الْمَاءِ فُرَّاطٌ وَوِرْدٌ مُصَبَّحُ

فقامَ قليلاً ثمَّ باحَ بحاجة مُصَرَّدُ أشْرَابٍ مُرَمًّى مُنَشَّحُ

إلى المصطفى بشرِ بنِ مروانَ ساورتْ بِنَا اللّيْلَ حُولٌ كالْقِدَاحِ وَلُقَّحُ

نَقانِقُ أشْبَاهٌ بَرَى قَمَعَاتِهَا بُكورٌ وَإسْآدٌ وَمَيْسٌ مُشَيَّحُ

فلمْ يبقَ إلاّ آلُ كلِّ نجيبة لها كاهلٌ جأبٌ وصلبٌ مكدّحُ

ضُبَارِمَةٌ شُدْقٌ كأنَّ عُيُونَهَا بَقَايَا جِفارٍ مِنْ هَرَامِيتَ نُزَّحُ

فَلَوْ كُنَّ طَيْراً قَدْ تَقَطَّعْنَ دُونَكُمْ بغبرِ الصّوى فيهنَّ للعينِ مطرحُ

ولكنّها العيسُ العتاقُ يقودها همومٌ بنا منتابها متزحزحُ

بناتُ نحيضِ الزّورِ يبرقُ خدّهُ عِظَامُ مِلاطَيْهِ مَوَائِرُ جُنَّحُ

لَهُ عُنُقٌ عَارِي الْمَحَالِ وَحَارِكٌ كلوحِ المحاني ذو سناسنَ أفطحُ

وَرِجْلٌ كَرِجْلِ الأَخْدَرِيِّ يَشُلُّهَا وَظِيفٌ على خُفِّ النَّعَامَة أرْوَحُ

يقلّبُ عينيْ فرقدٍ بخميلة كساها نصيٌّ الخلفةِ المتروّحُ

تروّحنَ منْ حزمِ الجفولِ فأصبحتْ هضابُ شرورى دونها والمضيّحُ

وما كانتِ الدّهنا لها غيرَ ساعةٍ وجوَّ قساً جاوزنَ والبومُ يضبحُ

سمامٌ بموماةٍ كأنَّ ظلالها جَنَائِبُ تَدْنُو تَارَةً وتَزَحْزَحُ

ولمّا رأتْ بعدَ المياهِ وضمّها جَنَاحَانِ مِنْ لَيْلٍ وَبَيْدَاءُ صَرْدَحُ

وأغْسَتْ عَلَيْهَا طِرْمِسَاءُ وعُلِّقَتْ بهجرٍ أداوى ركبها وهيَ نزّحُ

حذاها بنا روحٌ زواحلُ وانتحتْ بِأجْوَازِه أيْدٍ تَمُدُّ وتَنْزَحُ

فَأضْحَتْ بِمَجْهُولِ الْفَلاَةِ كَأَنَّهَا قَرَاقِيرُ في آذِيِّ دِجْلَةَ تَسْبَحُ

لهاميمُ في الخرقِ البعيدِ نياطهُ وراءَ الّذي قالَ الأدلاّءُ تصبحُ

فما أنا إنْ كانتْ أعاصيرُ فتنة قُلُوبُ رِجَالٍ بَيْنَهُنَّ تَطَوَّحُ

كَمَنْ بَاعَ بالإِثْمِ التُقَى وتَفَرَّقَتْ بهِ طرقُ الدّنيا ونيلٌ مترّحُ

رَجَوْتُ بُحُوراً مِنْ أَمَيَّةَ دُونَهَا عدوٌّ وأركانٌ منَ الحربِ ترمحُ

وما الفقرُ منْ أرضِ العشيرةِ ساقنا إِلَيْكَ وَلكِنَّا بِقُرْبِكَ نَبْجَحُ

وَقَدْ عَلِمَ الأَقْوَامُ أَنَّكَ تَشْتَرِي جميلَ الثّنا والحمدُ أبقى وأربحُ

وأنتَ امرؤٌ تروي السّجالَ وينتحي لأبعدَ منّا سيبكَ المتمنّحُ

وإنّكَ وهّابٌ أغرُّ وتارة هزبرٌ عليهِ نقبةُ الموتِ أصبحُ

أبُوكَ الّذي نَجَّى بِيَثْرِبَ قَوْمَهُ وَأنْتَ الْمُفَدَّى مِنْ بَنِيهِ الْمُمَدَّحُ

إذا ما قريشُ الملكِ يوماً تفاضلوا ... بدا سابقٌ منْ آلِ مروانَ أقرحُ

فإنْ تنءَ دارٌ يا ابنَ مروانَ غربة ... بحاجةِ ذي قربى بزندكَ يقدحُ

فَيَا رُبَّ مَنْ يُدْني وَيَحْسِبُ أنَّهُ ... يودّكَ والنّائي أودُّ وأنصحُ

هَجَوْتُ زُهَيْراً ثَمَّ إنِّي مَدَحْتُهُ ... وما زالتِ الأشرافُ تهجى وتمدحُ

فَلَمْ أدْرِ يُمْنَاهُ إذَا مَا مَدَحْتُهُ ... أبِالْمَالِ أمْ بالْمَشْرَفِيَّةِ أنْفَحُ

وَذِي كُلْفَةٍ أغْرَاهُ بي غَيْرُ ناصِحٍ ... فقلتُ لهُ وجهُ المحرّشِ أقبحُ

وَإنِّي وَإنْ كُنْتُ الْمُسِيءَ فَإنَّنِي ... عَلَى كُلِّ حَالاَتِي لَهُ مِنْهُ أنْصَحُ

دأبتُ إلى أنْ ينبتَ الظلُّ بعدما ... تقاصرَ حتّى كادَ في الآلِ يمصحُ

وجيفَ المطايا ثمَّ قلتُ لصحبتي ... وَلَمْ يَنْزِلُوا أبْرَدْتُمُ فَتَرَوَّحُوا

أعَينِ ألا فَابْكي لِصَخْرٍ بدَرّةٍ

أعَينِ ألا فَابْكي لِصَخْرٍ بدَرّةٍ اذا الخيلُ منْ طولِ الوجيفِ اقشعرَّتِ

اذا زجروهَا فِي الصَّريخِ وَطابقتْ طِباقَ كِلابٍ في الهِراشِ وهَرّتِ

شددتَّ عصابَ الحربِ اذ هيَ مانعٌ فألْقَتْ برِجْلَيها مَرِيّاً فَدَرّتِ

وَكانتْ اذا مَا رامهَا قبلُ حالبٌ تَقَتْهُ بإيزاغٍ دَماً واقمَطَرّتِ

وَكانَ ابُو حسَّانَ صخرٌ اصابهَا فارغثهَا بالرُّمحِ حتَّى اقرَّتِ

كَراهِيَةٌ والصّبرُ منكَ سَجيّةٌ إذا ما رَحى الحرْبِ العَوانِ استَدَرّتِ

اقامُوا جنابْي رأسهَا وَترافدُوا على صَعْبِها يَوْمَ الوَغى فاسبطَرَّتِ

عَوَانٌ ضَرُوسٌ ما يُنادى وَليدُها تلقَّحُ بالمرَّانِ حتَى استمرَّتِ

حَلَفْتَ على أهْلِ اللّواءِ لَيوضَعَنْ فما أحْنَثَتْكَ الخَيْلُ حتى أبَرّتِ

وخَيْلٌ تُنادى لا هَوَادَةَ بَيْنَها مَرَرْتَ لها دونَ السَّوَامِ ومُرّتِ

كانَّ مدلاً منْ اسودِ تبالةٍ		يكونُ لها حَيثُ استَدارَتْ وكَرّتِ

يا عجباً للدّهرِ شتّى طرائقهْ

يا عجباً للدّهرِ شتّى طرائقهْ		وللمرءِ يبلوهُ بما شاءَ خالقهْ

وللخلدِ يرجى والمنيّةُ دونهُ		وَلِلأمَلِ الْمَبْسُوطِ والْمَوْتُ سَابِقُهْ

جَعَلْنَ أرِيكاً بِالْيَمِينِ وَرَمْلهُ		وزالَ لغاطَ بالشّمالِ وحالقهْ

وَأمْسَتْ بأطْرَافِ الْجَمَادِ كَأنَّها		عَصَائِبُ جُنْدٍ رَائِحٍ وَخَرَائِقُهْ

وصبّحنَ منْ سمنانَ عيناً رويّة		وهنَّ إذا صادفنَ شرباً صوادقهْ

وَأسْحَمَ حَنَّانٍ مِنَ الْمُزْنِ سَاقَهُ		طروقاً إلى جنبيْ زبالةَ شائقهْ

فَلَمَّا عَلاَ ذَاتَ التَّنَانِيرِ صَوْبُهُ		تكشّفَ عنْ برقٍ قليلٍ صواعقهْ

كفاني عرفّانُ الكرى وكفتيهُ		كلوءَ النّجومِ والنّعاسُ معانقهْ

فباتَ يريهِ عرسهُ وبناتهِ		وَبِتُّ أَرِيهِ النَّجْمَ أيْنَ مَخَافِقُهْ

وسربالِ كتّانٍ لبستُ جديدهُ ... على الرّحلِ حتّى أسلمتهُ بنائقهْ

وَلَذٍّ كَطَعْمِ الصَّرْخَدِيِّ طَرَحْتُهُ ... عَشِيَّةَ خِمْسِ الْقَوْمِ والْعَيْنُ عَاشِقُهْ

وَعَيَّرَنِي الإِبْلَ الْحَلاَلُ ولَمْ يَكُنْ ... ليجعلها لابنِ الخبيثةِ خالقهْ

وَلكِنَّمَا أجْدَى وَأمْتَعَ جَدُّهُ ... بفرقٍ يخشّيهِ بهجهجَ ناعقهْ

وَقَال الّذي يَرْجُو الْعُلاَلَةَ وَرِّعُوا ... عَنِ الْمَاءِ لاَ يُطّرَقْ وَهُنَّ طَوَارِقُهْ

فَمَا زِلْنَ حَتَّى عَادَ طَرْقاً وَشِبْنَهُ ... بِأصْفَرَ تَذْرِيهِ سِجَالاً أيَانِقُهْ

خَرِيعٌ مَتَى يَمْشِي الْخَبِيثُ بِأرْضِهِ ... فإنَّ الحلالَ لا محالةَ ذائقهْ

تَنَاوَلَ عِرْقَ الْغَيْثِ إذْ لا يَنَالُهُ ... حِمارُ ابْنُ جَزْءٍ عَاصِمٌ وَأفَارِقُهْ

إذَا هَبَطَتْ بَطْنَ اللّكِيكِ تَجَاوَبَتْ ... بِهِ وَكطّبَاهَا رَوْضُهُ وَأبَارِقُهْ

فَأمْسَتْ بَوَادِي الرَّقْمَتَيْنِ وَأصْبَحَتْ ... بِجوِّ رِئَالٍ حَيْثُ بَيَّنَ فَالِقُهْ

فأصبحنَ قدْ خلّفنَ أودَ وأصبحتْ فِرَاخُ الْكَثِيبِ ضُلَّعَاً وَخَرَانِقُهْ

فلمّا هبطنَ المشفرَ العودَ عرّستْ بحيثُ التقتْ أجزاعهُ ومشارقهْ

وصبّحنَ للعذراءِ والشّمسُ حيّة وليَّ حديثِ العهدِ جمٍّ مرافقهْ

يهيبُ بأخراها بريمةُ بعدها بدا رملُ جلاّلٍ لها وعواتقهْ

فغادرنَ مركوّاً أكسَّ عشيّة لدى نزحٍ ريّانَ بادٍ خلائقهْ

تُعَيِّرُنِي صُهْباً كَأنَّ رُؤُوسَهَا ذَرَى الأكْمِ فِيهَا غَضٌّ نَيٍّ وَعَاتِقُهْ

لَهَا فَأَرَةٌ ذَفْرَاءُ كُلَّ عَشِيَّة كما فتقَ الكافورَ بالمسكِ فاتقهْ

وَكَانَ لَهَا فِي أَوَّلِ الدَّهْرِ فَارِسٌ إذا ما رأى قيدَ المئينَ يعانقهْ

أجدّتْ مراغاً كالملاءِ وأرزمتْ بِنَجْدَيْ ثَقَيْبٍ حَيْثُ لاَحَتْ طَرَائِقُهْ

فما نهلتْ حتّى أجاءتْ جمامهُ إلى خَرِبٍ لاَقَى الْخَسِيفَة خَارِقُهْ

وأزهرَ سخّى نفسهُ عنْ تلادهِ حنايا حديدٍ مقفلٍ وسوارقهْ

فَإنْ يُودِ رِبْعِيُّ الشَّبَابِ فَقَدْ أَرَى ببطانهِ قدّامَ سربٍ أوافقهْ

المقنع الكندي

محمد بن ظفر بن عمير بن أبي شمر بن فرعان بن قبس بن الأسود بن عبد الله بن الحارث بن عمرو بن معاوية بن كندة ينتهي نسبه إلى يعرب بن قحطان .

لقب بالمقنع بسبب تلثمه خوفا من العين لفرط جماله وبهاء حسنه ، وهو شاعر من العصر الأموي عاصر الوليد بن يزيد وامتدحه .

كندة من أشهر وأعرق القبائل اليمنية ، موطنها حضرموت وفيها بيت الملك ولها السيادة حقبا من الدهر، لم تعبد في الجاهلية الأصنام ولم تقسم بالأزلام ، وفدت وفودها على الرسول ﷺ طائعة مسلمة .

قال أبو الفرج الأصفهاني في " الأغاني":

المقنع لقب غلب عليه؛ لأنه كان أجمل الناس وجهاً، وكان إذا سفر اللثام عن وجهه أصابته العين.

قال الهيثم: كان المقنع أحسن الناس وجهاً، وأمدهم قامة وأكملهم خلقاً، فكان إذا أسفر لقع – أي أصابته أعين الناس – فيمرض، ويلحقه عنت ؛ فكان لا يمشي إلاَّ مقنعاً.

واسمه محمد بن ظفر بن عمير بن أبي شمر بن فرعان بن قيس بن الأسود بن عبد الله بن الحارث الولادة – سمي بذلك لكثرة ولده – بن عمرو بن معاوية بن كندة بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن

يشجب بن يعرب بن قحطان.

شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية، وكان له محل كبير، وشرف ومروءة وسؤدد في عشيرته.

قال الهيثم بن عدي: كان عمير جده سيد كندة، وكان عمه عمرو بن أبي شمر ينازع أباه الرياسة ويساجله فيها، فيقصر عنه.

ونشأ محمد بن عمير المقنع، فكان متخرقاً في عطاياه، سمح اليد بماله، لا يرد سائلاً عن شيء حتى أتلف كل ما خلفه أبوه من مال فتعالى عليه بنو عمه عمرو بن أبي شمر بأموالهم وجاههم، لم يزوجوه أختهم لفقره ودينه ، فردوه وعيروه بتخرقه وفقره وما عليه من الدين. وظل متلافا للمال ، وعرف بالإنفاق وحب العطاء فانفق ما تركه له والده حتى أصبح مديوناً.

ومن شعره في السخاء والكرم وكثرة البذل :

إني أحرض أهل البخل كلهم   لو كان ينفع أهل البخل تحريضي

ما قل مالي إلا زادني كرماً   حتى يكون برزق الله تعويضي

والمال يرفع من لولا دراهمه   أمسى يقلب فينا طرف مخفوض

لن تخرج البيض عفواً من أكفهم   إلا على وجع منهم وتمريض

كأنها من جلود الباخلين بها   عند النوائب تحذى بالمقاريض

ومن رائع شعره :

يُعاتِبُني في الدينِ قَومي وَإِنَّما   دُيونيَ في أَشياءَ تُكسِبُهُم حَمدا

أَلَم يَرَ قَومي كَيفَ أوسِرَ مَرَّة   وَأَعسِرُ حَتّى تَبلُغَ العُسرَةُ الجَهدا؟

فَما زادَني الإِقتارُ مِنهُم تَقَرُّباً   وَلا زادَني فَضلُ الغِنى مِنهُم بُعدا

أَسُدُّ بِهِ ما قَد أَخَلّوا وَضَيَّعوا   ثُغورَ حُقوقٍ ما أَطاقوا لَها سَدّا

وَفي جَفنَةٍ ما يُغلَق البابُ دونها مُكَلَّلةٍ لَحماً مُدَفَّقةٍ ثَردا

وَفي فَرَسٍ نَهدٍ عَتيقٍ جَعَلتُهُ حِجاباً لِبَيتي ثَمَّ أخدَمتُه عَبدا

وَإِن الَّذي بَيني وَبَين بَني أَبي وَبَينَ بَني عَمّي لَمُختَلِفُ جدا

أَراهُم إِلى نَصري بِطاءً وَإِن هُم دَعَوني إِلى نَصرٍ أَتيتُهُم شَدّا

فَإِن يَأكُلوا لَحمي وَفَرتُ لحومَهُم وَإِن يَهدِموا مَجدي بنيتُ لَهُم مَجدا

وَإِن ضيَّعوا غيبي حَفظتُ غيوبَهُم وَإِن هُم هَوَوا غَيِّي هَوَيتُ لَهُم رُشدا

وَإِن زَجَروا طَيراً بِنَحسٍ تَمرُّ بي زَجَرتُ لَهُم طَيراً تَمُرُّ بِهِم سَعدا

وَإِن هَبطوا غوراً لأمرٍ يَسوءُني   طَلَعتُ لَهُم ما يَسُرُّهُمُ نَجدا

فَإِن قَدحوا لي نارَ زندٍ يَشينُني   قدَحتُ لَهُم في نار مكرُمةٍ زَندا

وَإِن بادَهوني بِالعَداوَةِ لَم أكُن   أبادُهُم إِلا بِما يَنعَت الرُشدا

وَإِن قَطَعوا مِني الأواصِر ضَلَّةً   وَصَلتُ لَهُم مُنّي المَحَبَّةِ وَالوُدّا

وَلا أَحمِلُ الحِقدَ القَديمَ عَلَيهِم   وَلَيسَ كَريمُ القَومِ مَن يَحمِلُ الحِقدا

فَذلِكَ دَأبي في الحَياةِ وَدَأبُهُم   سَجيسَ اللَيالي أو يُزيرونَني اللَحدا

لَهُم جُلُّ مالي إِن تَتابَعَ لي غَنّى   وَإِن قَلَّ مالي لَم أكَلِّفهُم رِفدا

وَإِنّي لَعَبدُ الضَيفِ ما دامَ نازِلاً   وَما شيمَةٌ لي غَيرُها تُشبهُ العَبدا

عَلى أنَّ قَومي ما تَرى عَين ناظِرٍ كَشَيبِهِم شَيباً وَلا مُردهم مُرداً

بِفَضلٍ وَأحلام وجودِ وَسُؤدُد وَقَومي رَبيع فيالزَمانِ إِذاشَدّا

ومن شعره :

وَكُن معدِناً لِلحُلمِ وَاِصفَح عَنِ الأَذى فَإِنَّكَ راءٍ ما عَلِمتَ وَسامِعَ

وَأحبِب إِذا أحبَبتَ حُبّاً مقارِباً فَإِنَّكَ لا تَدري مَتى أنتَ نازِعُ

وَاِبغض إِذا كرهت غَيرَ مُباعِدٍ فإِنَّكَ لا تَدري مَتى أنتَ راجِع

ومنه :

نَزَلَ المَشيبُ فَأينَ تَذهَبُ بَعدَهُ وَقَد ارعَويتَ وَحانَ مِنكَ رَحيلُ

كانَ الشَبابُ خَفيفَةٌ أيّامُهُ وَالشَيبُ مَحمَلُه عَلَيكَ ثَقيلُ

لَيسَ العَطاءُ من الفُضولِ سَماحَةً حَتّى تَجودَ وَما لَدَيكَ قَليلُ

ويمتاز شعر المقنع بوضوح المعنى ومتانة الأسلوب وانتقاء الألفاظ والمفردات الشعرية بعناية فائقة تدل على تمكنه في صناعة الشعر وسمو مكانه بين شعراء العربية فضلاً عما تتضمنه قصائده من جوانب تربوية وحكم نابعة من خبرة ودراية .

النابغة الجعدي

هو قيس ، وقيل حسان ، بن عبد الله بن عُدَس بن ربيعة الجعدي العامري من جنوب اليمن . كُنيّ بأبي ليلى ولُقب بالنابغة لأنه سكت عن الشعر ثلاثين سنة ثم نبغ في قوله في الإسلام . هو أقدم من النابغة الذبياني .

عاش طويلاً ونادم المنذر أبا النعمان بن المنذر .

قيل إنه كان في الجاهلية يصوم ويصلي ويستغفر وهجر عبادة الأصنام . وله أبيات يذكر فيها التوحيد والبعث والجنة والنار .

وفد على النبي ﷺ على رأس وفد من قومه فأسلم .

□

جاء في " سير أعلام النبلاء " :

(هو أبو ليلى شاعر زمانه له صحبة ووفادة ورواية وهو من بني عامر بن صعصعة.

يقال: عاش مئة وعشرين سنة. وكان يتنقل في البلاد ويمتدح الأمراء وامتد عمره قيل عاش إلى حدود سنة سبعين.

ويقال: عاش مئة وثمانين سنة وقيل أكثر من ذلك.

وقيل: إنه قال في ابن الزبير:

حكيت لنا الصديق لما وليتنا   عثمان والفاروق فارتاح معدم

وسويت بين الناس في الحق فاستووا   فعاد صباحاً حالك الليل مظلم

في أبيات فأمر له بسبع قلائص وتمر وبر.

شهد النابغة الجعدي عهد الرسول وعهد خلفائه الأربعة ، وكان موضع احترامهم وتقديرهم ، كما شهد فتح فارس وانحاز إلى الخليفة علي بن أبي طالب في صفين .

قيل إنه مات في أصفهان بفارس .

تبادل النابغة الجعدي الهجاء مع عدد من شعراء زمانه بينهم أوس بن مغراء والعجاج وكعب بن جعيل وليلى الأخيلية ، وكانت لهم الغلبة عليه .

صنفه بعض الشعراء القدامى في الطبقة الثالثة من الشعراء .

يدور شعره حول الافتخار بأمجاد قومه، إلى جانب المدح والهجاء والحكمة.يمتاز بقلة التكلف وطول النفس والإقلال من الألفاظ الغريبة الصعبة.تأثر بالإسلام ووردت في شعره ألفاظ قرآنية وبعض الإشارات الدينية .

من قصائده:-

خَلِيليّ غُضّا ساعَةً وَتَهَجَّرا وَلُوما عَلى ما أحدَثَ الدَهرُ أو ذَرا

أَلَم تَعلَما أنَّ اِنصِرافاً فَسُرعَةً لِسيرٍ أَحَقُّ اليومَ مِن أن تُقَصِّرا

وَلاَ تَسألا إِنَّ الحَياةَ قَصِيرَةٌ فَطِيرا لِرَوعاتِ الحَوادِثِ أو قِرا

وَإِن جاءَ أمرٌ لا تُطِيقانِ دَفعَهُ فَلاَ تَجزَعا مِمّا قَضى اللهُ واِصبِرا

أَلَم تَعلَما أَنَّ المَلاَمةَ نَفعُه قَلِيلُ إِذَا ما الشَيءُ وَلّى فَأَدبَرا

تَهِيجُ اللِحاءَ وَالمَلاَمَةَ ثَمَّ ما تُقَرِّبُ شَيئاً غيرَ ما كَانَ قُدِّرا

لَوى اللهُ عِلمَ الغَيبِ عَمن سِواءَهُ وَيَعلَمُ مِنهُ ما مَضى وتأَخَّرا

رَكِبتُ الأُمورَ صَعبَها وَذَلُولَها وَقاسَيتُ أَيّاماً تُشِيبُ الحَزَوَّرا

تَبعتُ رَسولَ اللهِ إِذ جاءَ بِالهُدى وَيَتلُو كِتاباً كالمَجَرَّةِ نَيِّرا

وَجاهَدتُ حَتّى ما أَحِسُّ وَمَن مَعِي سُهَيلاً إِذا ما لاَحَ ثُمَّتَ غَوَّرا

أَقِيمُ عَلى التَقوى وَأرضى بِفِعلِها وَكُنتُ مِنَ النارِ المَخُوفَةِ أَوجرا

وَطوَّفتُ في الرُهبانِ أعبُرُ دِينَهُم وسَيَّرتُ في الأَحبارِ مَا لَم تُسَيِّرا

فَأصبَحَ قَلبي قَد صَحا غَيرَ أنَّهُ وَكُلُّ اِمرِىءٍ لاَقٍ مِنَ الدَهرِ قِنطِرا

وَما عُمُري إِلاَّ كَدَعوَةِ فارِطٍ دَعا راعِياً ثَمَّ اِستمرَّ فأدبَرا

وَمَهما يَقل فِينا العَدُوُّ فَإِنَّهُم يَقُولُونَ مَعرُوفاً وَآخَرَ مُنكَرا

وَإِنّا أَناسُ لاَ نُعَوِّذَ خَيلَنا إِذَا مَا التَقينا أن تَحِيدَ وتَنفِرا

وَتُنكِرُ يَومَ الرَّوعِ أَلوانَ خَيلِنا مِنَ الطَعنِ حَتَّى تَحسِبَ الجَونَ أَشقَرا

وَلَيسَ بِمَعرُوفٍ لَنا أن نَرُدَّها صحاحاً وَلاَ مُستَنكَراً أن تُعَقَّرا

وَما عُلِمَت مِن عُصبَةٍ عَرَبِيَّةٍ كَمِيلادِنَا مِنّا أعَزَّ وَأكبَرا

وَأسرَعَ مِنّا إن طَرِدنا اِنصِرَافةً وأَكرَمَ مِنّا إِن طَرَدنا وأَظفَرا

وَأجدَرَ ألاّ يَقصُرُوا عَن كَرامةٍ ثَوِياً وَإِن كانَ الإِقامَةُ أشهُرا

وَأعفَى إذا مَا أطلَقُوا عَن أسِيرِهِم وَأَكرَمَ مِنّا مُطلِقِينَ وَأَشكَرا

بَلَغنا السماءَ مَجدَنا وَجُدُودَنا وَإِنّا لَنَرجو فَوقَ ذَلِكَ مَظهَرا

ومن شعره :-

تَأبّدَ مِن لَيلَى رُماحٌ فَعاذِبُ وَأقفَرَ مِمَّن حلّهُنَّ التَناضِبُ

فَأصبَحَ قارَاتُ الشُغُورِ بَسابِساً تَجاوَبُ في آرامِهِنَّ الثَعالِبُ

وَلَم يُمسِ بِالسيدانِ نَبحٌ لِسامِعٍ وَلاَ ضَوءُ نارٍ إِن تَنوَّرَ راكِبُ

فَزَلَّ وَلَم يُدرِكنَ إلاّ غُبارَهُ كَما زَلَّ مِرّيخٌ عَلَيهِ مَناكِبُ

أَلَم تَعلَموا ما تَرزَأُ الحَربُ أَهلَها وَعِندَ ذَوِي الأَحلامِ مِنها التَجارِبُ

لَها السادَةُ الأَشرافُ تَأتي عَلَيهِمُ فَتُهلِكُهُم والسابِحَاتُ النّجائِبُ

وَتَستلِبُ الدُهمَ التّي كانَ رَبُّها ضَنيناً بِها وَالحَربُ فيها الحَرائِبُ

ومنه أيضا :

وَلَيسَت بِشَوهاءَ مَقبوحَةٍ تُوافي الدِيارَ بِوجهٍ غَبِر

فَذَر ذا وَعدِّ إِلى غَيرِهِ فَشَرُّ المَقالَةِ ما يُعتَسرَ

وَما البَغيُ إِلاّ عَلى أهلِهِ وَما الناسُ إِلاّ كهذي الشَجَر

تَرَى الغُصنَ في عُنفُوانِ الشَبابِ يَهتَزُّ في بَهَجاتٍ خُضَر

زَماناً مِنَ الدَهرِ ثَمَّ التَوى فَعادَ إِلى صُفرَةٍ فاِنكَسَر

وَكَم مِن أخِي عَليَةٍ مُقترٍ تَأَتّى لَهُ المالُ حَتّى اِنجَبَر

وَآخرَ قَد كانَ جَمَّ الغِناءِ رَمَتهُ الحَوادِثُ حَتّى اِفتَقَر

وَكَم غائبٍ كانَ يَخشَى الرَدى فَآبَ وَأودَى الّذي في الحَضَر

حسان بن ثابت

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حَرام من بني مالك بن النجار اسمه تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ، كنيته أبو الوليد وقيل عبد الرحمن .

ولد في يثرب وكان والده من وجهاء الخزرج وحكامها.

كان حسان عصبي المزاج، سريع الغضب والانفعال ، شديد الاعتزاز بنفسه وبقومه،أنيقا في ملبسه مهتماً بزينته ، يخضب شاربه بالحناء .

□

قال عن لسانه ـ وكان طويلا - : (لو وضعته على صخر لفلقه)
عاش ستين سنة في الجاهلية وستين في الإسلام.

وهو شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه.

قال ابن سعد: عن الواقدي: لم يشهد مع النبي ﷺ مشهداً، كان يجبن .

قال حسان الشعر صغيراً ونبغ فيه حتى صار من طليعة شعراء الخزرج اتصل بأمراء الغساسنة في الشام،وهم من أقربائه في النسب، وزارهم مادحاً وواصفاً بطولاتهم ووقائعهم، مشاركاً لهم في لهوهم وسرورهم ، متنعماً بإكرامهم له . التقى في مجالسهم بشعراء كبار مثل النابغة الذبياني وعلقمة الفحل ، وتبارى معهم في مدح الغساسنة . وقيل إنه اتصل بملوك الحيرة ومدحهم . وكانت له مجالس لهو وشراب مع الشاعر الأعشى وغيره . التقى في عكاظ بالخنساء والنابغة والأعشى .

اعتنق حسان بن ثابت الإسلام مع قومه وتولى التصدي ،

بطلب من الرسول ، لشعراء مشركين مثل :(أبو سفيان

والزيعري وعمرو بن العاص وضرار بن الخطاب) ، وشاركه

في تصديه هذا كعب بن مالك وعبد اللّه بن رواحة وكان

□

يُنصب له منبر في المسجد يقوم عليه للمنافحة عن الرسول والإسلام والرد على المشركين .

وروى عدي بن ثابت عن البراء: أن رسول اللّٰه قال لحسان:

"اهجهم وهاجهم وجبريل معك".

وروي عن عائشة: أن النبي ﷺ قال: " اهج قريشاً فإنه أشد عليهم من رشق النبل" .

وسمعته يقول: "هجاهم حسان فشفى" .

اكتسب حسان بدفاعه هذا لقب شاعر الإسلام والرسول، ومنحه النبي بستاناً وحصناً في المدينة ، كما وهب له جاريته سيرين، أخت مارية القبطية ، فتزوجها حسان ورزق منها بابنه عبد الرحمن .

كانت وفاة النبي صدمة عنيفة لحسان، جعلت حماسته لقول الشعر تفتر ، لكن ذلك لم يمنع النقاد القدماء من وصفه بأنه أشعر فحول شعراء المدينة وأهل المدر (سكان القرى) حتى أن أبا عبيدة قال عنه : إن حساناً أفضل الشعراء بثلاث : كان شاعر الأنصار في الجاهلية ، وشاعر النبي في النبوة ، وشاعر اليمن كلها في الإسلام .

مما قاله في هجاء المشركين والدفاع عن النبي ﷺ:

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء

ومن شعره في الدفاع عن العقيدة الإسلامية :

ثكلت بنيتي إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء

ينازعن الأعنة مصعدات على أكتافها الأسل الظماء

تظل جيادها متمطرات يلطمهن بالخمر النساء

فإن أعرضتم عنا اعتمرنا وكان الفتح وانكشف الغطاء

وإلا فاصبروا لضراب يوم يعز الله فيه من يشاء

وقال الله قد أرسلت عبداً يقول الحق ليس به خفاء

وقال الله قد سيرت جنداً هم الأنصار عرضتها اللقاء

يلاقوا كل يوم من معد سبابا أو قتالاً أو هجاء

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

ومن رائع شعره :

يمتاز شعر حسان بن ثابت بقيمته التاريخية فهو قد دوّن الحوادث والمعارك ومواقعها وأبطالها ،ودافع عن الإسلام بحماس بالغ وبلهجة قوية خاطبت المشركين، فكانت نوعاً جديداً في الشعر العربي . كانت لغته جزلة نقية مع سهولة في اللفظ ودقة في التعبير وروعة في الأسلوب.

في وفاته :

قال ابن إسحاق: توفي حسان سنة أربع وخمسين.

وأما الهيثم بن عدي والمدائني فقالا: توفي سنة أربعين.

قال ابن سعد: توفي زمن معاوية.

من قصائده:-

عفتْ ذاتُ الأصابعِ فالجواءُ إلى عذراءَ منزلها خلاءُ

ديارٌ منْ بَنِي الحسحاسِ قفرٌ تعفيها الروامسُ والسماءُ

وكانتْ لا يزالُ بِها أنيسٌ خلالَ مروجها نعمٌ وشاءُ

فدعْ هذا، ولكن منْ لطيفٍ يؤرقنِي إذا ذهبَ العشاءُ

لشعثاءَ التي قدْ تيمتهُ فليسَ لقلبهِ منها شفاءُ

كأنّ سبيئةً من بيتِ رأسٍ يكونُ مزاجها عسلٌ وماءُ

عَلى أنيابها، أو طعمَ غضٍّ منَ التفاحِ هصرهُ الجناءُ

إذا ما الأسرباتُ ذكرنَ يوما فهنّ لطيبِ الراح الفداءُ

نوليها الملامةَ، إنْ ألمنا إذا ما كانَ معثٌ أوْ لحاءُ

ونشربها فتتركنا ملوكا وأسدًا ما ينهنهنا اللقاءُ

عدمنا خيلنا، إنْ لَم تروها تثيرُ النقعَ، موعدها كداءُ

يبارينَ الأسنةَ مصعداتٍ عَلى أكتافها الأسلُ الظماءُ

تطلُّ جيادنا متمطراتٍ تلطمهنّ بالخمرِ النساءُ

فإما تعرضوا عنا اعتمرنا وكانَ الفتحُ، وانكشفَ الغطاءُ

وإلا، فاصبروا لجلادِ يومٍ يعزَّ اللهُ فيهِ منْ يشاءُ

وجبريلُ أمينُ اللهِ فينا وروحُ القدسِ ليسَ لهُ كفاءُ

وقالَ اللهُ : قدْ أرسلتُ عبدًا يقولُ الحقَّ إنْ نفعَ البلاءُ

شهدتُ بهِ فقوموا صدقوهُ فقلتمْ : لا نقومُ ولا نشاءُ

وقالَ اللهُ : قدْ يسرتُ جندًا همُ الأنصارُ، عرضتها اللقاءُ

لَنَا فِي كلّ يومٍ منْ معدٍّ سبابٌ، أوْ قتالٌ، أوْ هجاءُ

فنحكمُ بالقَوافِي منْ هجانا ونضربُ حينَ تَختلطَ الدماءُ

ألا أبلغْ أبا سفيانَ عنِّي فأنتَ مجوفٌ نَخبٌ هواءُ

بأنّ سيوفنا تركتكَ عبدًا وعبدَ الدارِ سادتها الإماءُ

هجوتَ محمدًا، فأجبتُ عنهُ وعندَ اللهِ فِي ذاكَ الجزاءُ

أتَهجوهُ، ولستَ لهُ بكفءٍ؟ فشركما لخيركما الفداءُ

هجوتَ مباركا، برًا، حنيفا أمينَ اللهِ، شيمتهُ الوفاءُ

فمنْ يهجو رسولَ اللهِ منكمْ ويَمدحهُ، وينصرهُ سواءُ

فإنّ أبِي ووالدهُ وعرضي لعرضِ محمدٍ منكمْ وقاءُ

فإما تثقفنّ بنو لؤيٍ جذيمةَ، إنّ قتلهمُ شفاءُ

أولئكَ معشرٌ نصروا علينا ففي أظفارنا منهمْ دماءُ

وحلفُ الحارثِ بن أبِي ضرارٍ وحلفُ قريظةٍ منا براءُ

لسانِي صارمٌ لا عيبَ فيهِ وبَحري لا تكدرهُ الدلاءُ

ومن شعره :

عرفتَ ديارَ زينبَ بالكثيبِ

عرفتَ ديارَ زينبَ بالكثيبِ كخطّ الوحيِ في الرقّ القشيبِ

تعاورها الرياحُ وكلُّ جونٍ مِنَ الوَسْمِيّ مُنْهَمرٍ سَكُوبِ

فأمْسَى رَسْمُها خَلَقاً، وأمْسَتْ يَبَاباً بَعدَ سَاكِنِها الحَبيبِ

فَدَعْ عَنكَ التذكّرَ كلَّ يومٍ، وَرُدَّ حَرارةَ الصّدْرِ الكَئيبِ

وَخَبّرْ بالّذي لا عَيْبَ فيهِ، بصدقٍ، غيرِ إخبارِ الكذوبِ

بمَا صَنَعَ المَلِيكُ غَدَاةَ بَدْرٍ لنا في المشركينَ منَ النصيبِ

غداةَ كأنّ جمعهمُ حراءٌ بَدَتْ أرْكَانُهُ جِنْحَ الغُرُوبِ

فوَافَيْنَاهُمُ مِنّا بِجَمْعٍ كَأَسْدِ الغابِ: مُرْدانٍ وَشِيبِ

أَمَامَ مُحَمّدٍ قَدْ آزَرُوهُ عَلى الأعْدَاءِ في وهج الحُروبِ

بأيديهمْ صوارمُ مرهفاتٌ وكلُّ مجربٍ خاظي الكعوبِ

بنو الأوسِ الغطارفُ آزرتها بَنُو النّجّارِ في الدّين الصّلِيبِ

فغادرنا أبا جهلٍ صريعاً وعتبةَ قدْ تركنا بالجبوبِ

وشيبةَ قدْ تركنا في رجالٍ ذوي حسبٍ، إذا نسبوا، نسيبِ

يناديهمْ رسولُ اللهِ، لما قذفناهمْ كباكبَ في القليبِ

ألمْ تَجِدُوا حديثي كانَ حَقّاً، وأمرُ اللهِ يأخذَ بالقلوبِ؟

فَما نَطَقُوا، ولَو نَطَقوا لَقالوا: صَدَقْتَ وكُنْتَ ذا رَأيٍ مُصِيبِ

عبد الله بن المبارك

هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي، الحافظ شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات، أفنى عمره في الأسفار، حاجاً ومجاهداً وتاجراً، وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء، ولد في مرو وكان من سكان خراسان، ومات بهيث في العراق.

ورد في "وفيات الأعيان" لابن خلكان:

أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي، مولى بني حنظلة، كان قد جمع بين العلم والزهد، تفقه على سفيان الثوري ومالك بن أنس رضى الله عنهما، وروى عنه الموطأ، وكان كثير الانقطاع محباً للخلوة شديد الورع، وكذلك كان أبوه.

وكان لعبد الله شعر، فمن ذلك قوله:

ومن كلامه: تعلمنا العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا.

وقد تفقه ابن المبارك بأبي حنيفة وهو معدود في تلامذته.

وكان عبد الله غنياً شاكراً رأس ماله نحو الأربع مائة ألف.

وروى عبد الله بن عبد الوهاب عن محمد بن عبد الرحمن بن سهم قال: كنت مع ابن المبارك فكان يأكل كل يوم فيشوى له جدي ويتخذ له فالوذق فقيل له في ذلك فقال: إني دفعت إلى وكيلي ألف دينار وأمرته أن يوسع علينا.

وقد كان ابن المبارك رحمه الله شاعراً محسناً قوالاً بالحق.

قال أحمد بن جميل المروزي: قيل لابن المبارك: إن إسماعيل بن علية قد ولي القضاء فكتب إليه:

يا جاعل العلم له بازياً   يصطاد أموال المساكين

احتلت للدنيا ولذاتها   بحيلة تذهب بالدين

فصرت مجنوناً بها بعدما   كنت دواء للمجانين

أين رواياتك في سردها   عن ابن عون وابن سيرين

أين رواياتك فيما مضى   في ترك أبواب السلاطين

إن قلت أكرهت فما ذا كذا   زل حمار العلم في الطين

وروى عبد الله بن محمد قاضي نصيبين حدثنا محمد بن إبراهيم بن أبي سكينة قال: أملى علي ابن المبارك سنة سبع وسبعين ومئة وأنفذها معي إلى الفضل بن عياض من طرسوس:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا لعلمت أنك في العبادة تلعب

من كان يخضب جيده بدموعه فنحورنا بدائنا تتخضب

أو كان يتعب خيلة في باطل فخيولنا يوم الصبيحة تتعب

ريح العبير لكم ونحن عبيرنا رهج السنابك والغبار الأطيب

ولقد أتانا من مقال نبينا قول صحيح صادق لا يكذب

لا يستوي وغبار خيل الله في أنف امرئ ودخان نار تلهب

هذا كتاب الله ينطق بيننا ليس الشهيد بميت لا يكذب

فلقيت الفضيل بكتابه في الحرم فقرأه وبكى ثم قال: صدق أبو عبد الرحمن ونصح.

قال ابن سهم الأنطاكي: سمعت ابن المبارك ينشد:

فكيف قرت لأهل العلم أعينهم   أو استلذوا لذيذ النوم أو هجعوا

والنار ضاحية لابد موردها   وليس يدرون من ينجو ومن يقع

وطارت الصحف في الأيدي منشرة   فيها السرائر والجبار مطلع

إما نعيم وعيش لا انقضاء له   أو الجحيم فلا تبقي ولا تدع

تهوي بساكنها طوراً وترفعه   إذا رجوا مخرجاً من غمها قمعوا

لينفع العلم قبل الموت عالمه   قد سأل قوم بها الرجعى فما رجعوا

ولابن المبارك:

جربت نفسي فما وجدتها لها   من بعد تقوى الإله كالأدب

في كل حالاتها وإن كرهت أفضل من صمتها عن الكذب

أو غيبة الناس إن غيبتهم حرمها ذو الجلال في الكتب

قلت لها طائعاً وأكرهها الحلم والعلم زين ذي الحسب

إن كان من فضة كلامك يا نفس فإن السكوت من ذهب

قال أبو العباس السراج: أنشدني يعقوب بن محمد لابن المبارك:

أبإذن نزلت بي يا مشيب؟ أي عيش وقد نزلت يطيب؟

وكفى الشيب واعظاً غير أني آمل العيش والممات قريب

وكم أنادي الشباب إذ بان مني ونداءي مولياً ما يجيب

قال أبو أمية الأسود: سمعت ابن المبارك يقول: أحب الصالحين ولست منهم وأبغض الطالحين وأنا شر منهم **ثم أنشأ يقول**:

الصمت أزين بالفتى من منطق في غير حينه

والصدق أجمل بالفتى في القول عندي من يمينه

وعلى الفتى بوقاره سمة تلوح على جبينه

فمن الذي يخفى علي ك إذا نظرت إلى قرينه

رب امرئ متيقن غلب الشقاء على يقينه

فأزاله عن رأيه فابتاع دنياه بدينه

عدي بن الرقاع العاملي

هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع من عاملة. كنيته أبو داوود.

سنة ولادته غير معروفة، لكنه سكن دمشق وعاصر عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز وقد امتدت خلافة هؤلاء حتى سنة ١٠١ هجرية.

□

وكان من حاضرة الشعراء لا من باديتهم كما يقول الأصفهاني في كتابه الأغاني هذه المقالة يتيمة إذ لا تصل إليها مقالة أخرى. ساعد بإضافة وصلة إليها في مقالة متعلقة بها. (يوليو_٢٠١١).

كان أعرجا وعدّه الجاحظ من البرصان، كانت له بنت تقول الشعر يقال لها سلمى، وكان مقدّما عند بني أمية، مدّاحا لهم.

ذكره ابن خير الأشبيلي في فهرسته،ولقبه ابن دريد في كتاب الاشتقاق بشاعر أهل الشام.

شعره :

أصبحت أبياته مضربا للمثل واستشهد بها الكثير من أعلام اللغة والشعر والأدب.

فعندما سألوا جريرا من أنسب الشعراء قال: ابن الرقاع وذكر **قوله**:

لولا الحياء وإن رأسي قد عسا فيه المشيب لزرت أم القاسم

فكأنها بين النساء أعارها عينيه أحور من جاذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت في جفنه سنة وليس بنائم

ثم قال جرير: ما كان يبالي إن لم يقل بعدها شيئا.

وقال الأصمعي عن هذه الأبيات المتقدمة أنها أحسن أبيات قيلت في فترة الجفون.

وكقوله:

لو ثوى لا يريمها ألف حول لم يطل عندها عليه الثواء

أهواها شفه أم أعيرت منظرا غير ما أعير النساء

ومن الإبداع في شعره في غير الغزل قوله:

والناس أشباه وبين حلومهم بون كذاك تفاضل الأشياء

بل ما رأيت جبال أرض تستوي فيما عسيت ولا نجوم سماء

والمجد يورثه امرؤ أشباهه   ويموت آخر وهو في الأحياء

ومن شعره :

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة   إليها شفيت النفس قبل التندم

ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا   بكاها فقلت: الفضل للمتقدم

ومن رائع شعره :

أَتَعْرِفُ الدارَ أَمْ لا تعرفُ الطَّلَلاَ؟

أتَعْرِفُ الدارَ أمْ لا تعرفُ الطَّلَلاَ؟   أجلْ فهيجتِ الأحزان والوجلا

وقد أَرَانِي بها في عِيشةٍ عَجَبٍ   والدهر بينا له حال إذِ انْفَتَلا

ألهو بواضحة الخدينِ طيبة   بعد المنام إذا ما سِرُّهَا ابتَذَلاَ

ليسَتْ تزالُ إليها نفسُ صاحِبِها   ظَمْأى فلو رابت من قلبه الغَلَلاَ

كشارب الخمر لا تُشْفَى لَذَاذَتُهُ ولو يطالع حتى يكثرَ العللا

حتى تصرمَ لذاتِ الشبابِ وما من الحياةِ بذا الدَّهْرِ الذي نَسَلاَ

وَرَاعَهُنَّ بِوَجْهِي بَعْدَ جِدَّتِهِ شَيْبٌ تَفَشَّغَ في الصُّدْغَيْنِ فاشْتَعَلاَ

وسار غربُ شبابي بعدَ جدتهِ كانما كانَ ضيفاً حفَّ فارتحلاَ

فكم ترى من قويٍّ فَكَّ قُوَّتَهُ طولُ الزمانِ وسيفاً صارماً نحلاَ

إنّ ابنَ آدمَ يرجُو ما وراءَ غدٍ ودونَ ذِلكَ غِيْلٌ يَعْتَقِي الأمَلاَ

لو كان يعتقُ حياً من منيتهِ تَحَرُّزٌ وحِذَارٌ أحرَزَ الوَعِلا

الأعْصَمَ الصَّدَعَ الوَحْشِيَّ في شَغَفٍ دُونَ السَّماءِ نِيافٌ يَفْرَعُ الجَبَلاَ

يَبِيْتُ يَحْفِرُ وَجْهَ الأرْضِ مُجْتَنِحاً إذا اطمأنَّ قليلاً قام فانتقلا

يكاد يقطع صعداً غير مكترثٍ إلى السماءِ ولولا بعدها فعلا

وليس ينزل إلاّ فوق شاهقة جَنْحَ الظّلاَمِ ولولا الليلُ ما نَزَلاَ

فذاكَ منْ أحذرِ الأشياءِ لو وألتْ نفسٌ من الموتِ والآفاتِ أَنْ يَئِلاَ

فصرَّمَ الهَمَّ إذ وَلّى بناحِيَةٍ عَيْرَانَةٍ لا تَشَكَّى الأصْرَ والعَمَلاَ

من اللواتي إذا استقبلن مهمهة نجينَ منْ هولها الركبانَ والقفلاَ

من فَرَّهَا يَرَهَا مِنْ جَانِبٍ سَدَساً وجانبٍ نابها لمْ يعدُ أنْ بزلاَ

حرفٌ تشذرَ عنْ ريانَ منغمسٍ   مستحقبٍ رزأتهُ رحمها الجملاَ

أوكتْ عليه مضيقاً من عواهنها   كَمَا تَضَمَّنَ كشحُ الحُرَّة الحَبَلا

كأنها وهي تحتَ الرحلِ لاهية   إذا المطيُّ على أنقائِهِ ذَمَلاَ

جُونِيَّةٌ مَسكنُها   من قَطَا الصَّوَّانِ جفاجفٌ تنبتُ القفعاءَ والبقلاَ

بَاضَتْ بِحَزْمِ سُبَيْعٍ أَوْ بِمَرْفَضِهِ   ذي الشيحِ حيث تلاقى التلعُ فانسحلاَ

تروي لأزغبَ صيفيٍّ مهلكة   إذا تَكَمَّشَ أولاد القطا خَذلا

تنوش من صوة الأنهار يطعمه   من التهاويل والزباد ما أكلا

تَضُمُّهُ لجَنَاحَيْهَا وجُؤجُؤهَا   ضمَّ الفَتَاةِ الصَّبيَّ المُغْيِلَ الصَغِلا

تَسْتَوْرِدُ السِّرَّ أحياناً إذا ظَمِئَتْ   والضَّحْلَ أسفل من جرزاته الغَلَلاَ

تحسرت عقة عنه فأنسلها   و اجتاب أخرى جديداً بعدما ابتقلا

مُوَلّعٌ بسوادٍ في أسافِلِهِ   منه احْتَذَى وبلَوْنٍ مِثْلِهِ اكْتَحَلاَ

ومن قصائده :

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوَهُّماً فاعْتَادَهَا

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوَهُّماً فاعْتَادَهَا   من بعدِ ما درسَ البلى أبلادها

إلا رواسيَ كلهنَّ قد اصطلى   جمراً واشعلَ أهلها إيقادها

بِشُبَيْكَةِ الحَوَرِ الّتِي غَرْبِيّهَا   فَقَدَتْ رسومُ حِيَاضِهَا وُرَّادَها

كانَتْ رواحِلَ للقُدُورِ فَعُرِّيَتْ   منهنَّ واستلبَ الزمانُ رمادها

وتنكرتْ كلَّ التنكرِ بعدنا وَالأرْضُ تَعْرِفُ بَعْلَهَا وَجَمَادَهَا

وَلَرُبَّ وَاضِحَةِ الجَبِيْنِ خَرِيدَةٌ بَيْضاءُ قَدْ ضَرَبَتْ بِهَا أوْتَادَهَا

تصطادُ بهجتها المعللَ بالصبا عُرُضاً فَتُقْصِدُهُ وَلَنْ يَصْطَادَهَا

كالظبيةِ البكرِ الفريدةِ ترتعي من أرضها قفاتها وعهادها

خضبتْ بها عقدُ البراقِ جبينها مِنْ عَرْكِهَا عَلَجَانَهَا وَعَرَادَهَا

كَالزَّيْنِ فِي وَجْهِ العَرُوسِ تَبَذَّلَتْ بَعْدَ الحَيَاءِ فَلاَعَبَتْ أَرْآدَهَا

تُزْجِي أغَنَّ كَأنَّ إبْرَة رَوْقِهِ قلمٌ أصابَ منَ الدواةِ مدادها

ركبتْ بهِ منْ عالجٍ متحيراً قَفْراً تُرَبِّبُ وَحْشُهَا أوْلاَدَهَا

فَتَرَى مَحَانِيهِ الّتِي تَسِقُ الثّرَى   والهبرُ يونقُ نبتها روادها

بمجرٍّ مرتجزِ الرواعدِ بعجتْ   غرُّ السحابِ بهِ الثقالُ مزادها

بَانَتْ سُعَادُ وَأخْلَفَتْ مِيْعَادَهَا   وَتَبَاعَدَتْ عَنَّا لِتَمْنَعَ زَادَهَا

إنِّي إذَا مَا لَمْ تَصِلْنِي خُلّتِي   وَتَبَاعَدَتْ عَنِّي اغْتَفَرْتُ بِعَادَهَا

وَإذَا القَرِيْنَةُ لَمْ تَزَلْ فِي نَجْدَةٍ   مِنْ ضِغْنِهَا سَئِمَ القَرِيْنُ قِيَادَهَا

إمَّا تَرَى شَيْبِي تَفَشَّغَ لِمَّتِي   حتى علا وضحٌ يلوحُ سوادها

فلقدْ ثنيتُ يدَ الفتاةِ وسادة   لي جاعلاً يسرى يديَّ وسادها

وَلَقَدْ أَصَبْتُ مِنَ المَعِيشَةِ لَذَّةً   ولقيتُ منْ شظفِ الخطوبِ شدادها

وَعَمِرْتُ حَتَّى لَسْتُ أسْألُ عَالِماً   عنْ حرفِ واحدةٍ لكيْ أزدادها

وأصاحبُ الجيشَ العرمرمَ فارساً   فِي الخَيْلِ أَشْهَدُ كَرَّهَا وَطِرَادَهَا

وَقَصِيدَةٍ قَدْ بِتُّ أجْمَعُ بَيْنَهَا   حتى أقومَ ميلها وسنادها

نظرَ المثقفُ في كعوبِ قناتهِ   حتى يقيمَ ثقافهُ منآدها

فَسَتَرْتُ عَيْبَ مَعِيْشَتِي بِتَكَرُّمٍ   وأتيتُ في سعةِ النعيمِ سدادها

وعلمتُ حتى ما أسائلُ عالماً   عنْ علمِ واحدةٍ لكيْ أزدادها

صَلّى الإلهُ عَلَى امْرِىءٍ وَدَّعْتُهُ   وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا

وإذا الربيعُ تتابعتْ أنواؤهُ   فَسَقَى خُنَاصِرَةَ الأحَصِّ فَجَادَهَا

نزلَ الوليدُ بها فكانَ لأهلها   غَيْثاً أَغَاثَ أَنِيْسَهَا وَبِلاَدَهَا

وَلَقَدْ أرَادَ اللّهُ إذْ وَلاَّكَهَا   مِنْ أَمَّةٍ إصْلاَحَهَا وَرَشَادَهَا

وَعَمِرْتَ أرْضَ الْمُسْلِمِيْنَ فَأَقْبَلَتْ وَنَفَيْتَ عَنْهَا مَنْ يُرِيْدُ فَسَادَهَا

وأصبتَ في بلدِ العدوِّ مصيبة بَلَغَتْ أَقَاصِيَ غَوْرِهَا وَنِجَادَهَا

ظفراً ونصراً ما تناولَ مثلهُ أحَدٌ مِنَ الخُلَفَاءِ كَانَ أرَادَهَا

وإذا نشرتَ لهُ الثناءَ وجدتهُ جَمَعَ المَكَارِمَ طَرْفَهَا وَتِلاْدَهَا

أو ماترى أنَّ البريةَ كلها أَلْقَتْ خَزَائِمَهَا إِلَيْهِ فَقَادَهَا

غَلَبَ المَسَامِيحَ الوَلِيدُ سَمَاحَةً وكفى قريشَ المعضلاتِ وسادها

تأتيهِ أسلابُ الأعزةِ عنوة قَسْراً وَيَجْمَعُ لِلْحُرُوْبِ عِتَادَهَا

وَإذَا رَأى نَارَ العَدُوِّ تَضَرَّمَتْ سامى جماعةَ أهلها فاقتادها

بعرمرمٍ تبدو الروابي ذي وعى كَالْحِرَّةِ احْتَمَلَ الضُّحَى أَطْوَادَهَا

أطْفَأْتَ نَاراً لِلْحُرُوبِ وَأوْقِدَتْ نَارٌ قَدَحْتَ بِرَاحَتَيْكَ زِنَادَهَا

فبدت بصيرتها لمنْ يبغي الهدى وَأَصَابَ حَرُّ شَدِيْدِهَا حُسَّادَهَا

وَإذَا غَدَا يَوماً بِنَفْحَة نَائِلٍ عرضتْ لهُ الغدَ مثلها فأعادها

وإذا عدتْ خيلٌ تبادرُ غاية فالسابقُ الجالي يقودُ جيادها

لمن المنازل أقفرت بغباء ؟

لمن المنازل أقفرت بغباء؟ لو شئت هيجت الغداة بكائي

فالغمر غمر بني جذيمة قد ترى مأهولة فخلت من الأحياء

لولا التجلد والتعزي إنه لاَ قَوْمَ إلاَّ عَقْرُهُمْ لِفَنَاءِ

نَادَيْتُ أصْحَابِي الّذِيْنَ تَوَجَّهُوا وَدَعَوْتُ أخْرَسَ مَا يُجِيْبُ دُعَائِي

وإذا نظرت إلى أميري زادني ضَنّاً بِهِ نَظَرِيْ إلَى الأمَرَاءِ

تسمو العيون إليه حين يرونه كالبدر فرج بهمة الظلماء

والأصل ينبت فرعه متأثلا والكف ليس بنانها بسواء

بل ما رأيت جبال أرض تستوي فِيْمَا غَشِيْتُ وَلاَ نُجُوْمَ سَمَاءِ

والقوم أشباه وبين حلومهم بون كذاك تفاضل الأشياء

والبرق منه وابل متتابع جود وآخر ما يبض بماء

وَالْمرْءُ يُوْرِثُ مَجْدَهُ أبْنَاءَهُ   ويموت آخر وهو في الأحياء

وَالدَّهْرُ يَفْرُقُ بَيْنَ كُلِّ جَمَاعَةٍ   ويلف بين تباعد وتناء

عروة بن أذينة

عروة بن يحيى بن مالك بن الحارث الليثي، ويكنى عروة بن أذينة أبا عامر وهو شاعر غزل مقدم من شعراء أهل المدينة ومعدود من الفقهاء والمحدثين أيضاً، ولكن الشعر أغلب عليه.

قال أبوالفرج الأصفهاني في " الأغاني":

هو عروة بن أذينة وأذينة لقبه واسمه يحيى بن مالك بن الحارث بن عمرو بن عبد الله بن زحل بن يعمر وهو الشداخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. وسمي يعمر بالشداخ لأنه تحمل ديات قتلى كانت بين قريش وخزاعة وقال: قد شدخت هذه الدماء تحت قدمي فسمي الشداخ.

من شعره :

لقد علمت وما الإشراف من خلقي ... أنَ الّذي هو رزقي سوف يأتيني

أسعى له فيعنّيني تطلّبه ... ولو جلست أتاني لا يعنّيني

وأيّ حظّ امرئٍ لابدّ يبلغه ... يوماً ولابدّ أن يحتازه دوني

لا خير في طمع يهدي إلى طبعٍ ... وعلقة من قليل العيش تكفيني

لا أركب الأمر تزري بي عواقبه ... ولا يعاب به عرضي ولا ديني

أقوم بالأمر إمّا كان من أربي ... وأكثر الصمت فيما ليس يعنيني

كم من فقير غنيّ النّفس تعرفه ... ومن غنيّ فقير النّفس مسكين

وكم عدوّ رماني لو قصدت له لم يأخذ البعض منّي حين يرميني

وكم أخ لي طوى كشحاً فقلت له إنّ انطواءك عنّي سوف يطويني

لا أبتغي وصل من يبغي مفارقتي ولا ألين لمن لا يبتغي ليني

ويقول :

أمن حب سعدى وتذكارها حبست تبلد في دارها؟

مديما ونفسك معنية تكاد تبوح بأسرارها

على اليأس من حاجة أضمرت فشقت عليك بأضمارها

وقد أورثت لك منها جوى نصيبا على بعد مزدارها

ألا حبذا كيف كان الهوى سعاد وسالف أعصارها

وشرخ الشباب الذي فاتنا ودنيا تولت بأدبارها

رأت وضح الشيب في لمتي فهاج تقضي أوطارها

فجنت من الشيب واسترجعت وأنفرها فوق إنفارها

مباعدة بعد أزمانها بملحاء ريم وأمهارها

فبتت قوى الحبل مصبوبة على نقضها بعد إمرارها

وكم ليلة لك أحببتها قصير بها ليل سمارها

بعون عليهن من بهجة وحسن غضاضة أبكارها

خرجن إلينا على رقبة خروج السحاب لأمطارها

بزي جميل كزهر الرياض أشرق زاهر نوارها

يعدن مواعد يلوينها فلا بد من بعد إنظارها

ألم تعنك الظعن الموجعات حب القلوب بأبكارها؟

وفتيان صدق دعوا للصبى فشدوا المطي بأكوارها

فهذا لهذا وقل مدحة تسير غرائب أشعارها

لأهل الندى وبناة العلى وصيد معد وأخيارها

لنا عز بكر وأيامها ونصر قريش وأنصارها

وما عز من حان في حربهم بضغم الأسود وتهصارها

غلبنا الملوك على ملكهم وفتنا العداة بأوتارها

فضلنا العباد بكل البلاد عزا أخذنا بأقطارها

وخندف تخطر من دوننا ومن ذا يقوم لتخطارها

وقيس وحيا نزار معا بحور تجيش بتيارها

أبرت على الناس أيامهم فهم عارفون بأبرارها

تقر القبائل من طولهم بفضل فما بعد إقرارها

وقال عروة أيضا:

سرى لك طيف زار من أم عاصم فأحبب به من زور جاف مصارم

ألم بنا والركب قد وضعتهم نواجي السرى قود بأغبر قاتم

أناخوا فناموا قد لووا بأكفهم　　أزمة خوص كالسمام سواهم

فبت قرير العين ألهو بغادة　　طويلة غصن الجيد ريا المعاصم

رخيمة أعلى الصوت خود كأنها　　غزال يراعي واشحا بالصرائم

فيا لك حسنا من معرس راكب　　ولذته لو كنت لست بحالم

فطرت مروعا لا أرى غير أينق　　وقعن بجو بين شعث المقادم

ثنى سيرهم دأب السرى فتجدلوا　　عن العيس إذا ملوا عناق القوادم

فقلت وأنى من عصيمة فتية　　أناخوا بخرق لغبا كالنعائم

لقد علمت قيس وخندف أننا فسل كل قوم علمهم بالمواسم

ضربنا معدا قاطبين على الهدى بأسيافنا نذري شؤون الجماجم

وقمنا على الإسلام حتى تبينت شرائع حق مستقيم المخارم

وقدنا الجياد المقربات على الوجا إلى كل كلحا في الشكائم

فوارسها تدعو كنانة فيهم صناديد نزالون عند الملاحم

ونتبع أخراها كتائب مصدق تزيف بأولاها حماة البوازم

مصاليت ورادون في حمس الوغى ردى الموت خواضون غبر العظائم

إذا قرعتنا الحادثات سما لنا بنوا الحرب والكافون ثقل المغارم

نجوم أضأت في البلاد بأهلها وقام بها في الحق فيء المقاسم

ملوك مناجيب الفحول خضارم بحور وأبناء البحور الخضارم

غلبنا على الملك الذي نحن أهله معدا وفضضنا ملوك الأعاجم

ونحن أكلنا الجاهلية أهلها غوارا وشذبنا مجير اللطايم

وكان لنا المرباع غير تنحل وكل معد في جلود الأراقم

مضرين بالأعداء من كل معشر نهين معاطيس الأنوف الرواغم

ونحن ولاة الأمر ما بعد أمرنا مقال ولا مغدى لخصم مخاصم

ورثنا رسول الله إرث نبوة ومخلاف ملك تالد غير دائم

وقام بدين الله يتلو كتابه على الناس منا مرسل جد قائم

ففينا الندى والباع والحلم والنهى   وصولات أيد بادرات الجرائم

ونحن أناس أهل عز وثروة   ودفاع رجل كالدبا المتراكم

مجالس فتيان كرام أعزة   ونادي كهول كالنسور القشاعم

وجار منعناه فقر جنابه   ونام وما جار الذليل بنائم

وداع لمعروف فزعنا لصوته   بلبيك في وجه له غير واجم

فخيرته مالا طريفا وتالدا   يصون به عرضا له غير نادم

أنا ابن حماة العالمين وراثة   وأعظمهم جرثومة في الجرائم

وأمنعهم دارا وأكثرهم حصى   وأدفعهم عن جاره للمظالم

عمرو بن معدي كرب

هو عمرو بن معدي كَرِب بن عبد الله ، وقيل ابن ربيعة بن عبد الله ، بن عمرو الزبيدي من بني مذحج ، من اليمن ، والده رئيس بني زبيد، تولى ابنه عبدالله الرئاسة بعد موته ، ثم تولى عمرو الرئاسة بعد وفاة الأخ.

كان فارس اليمن وشاعرها في الجاهلية .. ترأس وفد قومه إلى ملوك الفرس والغساسنة ، ووفد على النبي في سنة تسع أو عشر للهجرة على رأس وفد من زبيد واعتنقوا الإسلام.

قيل في صفات عمرو أنه طويل القامة ، ضخم الجسم ، له قوة خارقة ، وعرف عنه الإباء وعزة النفس ، فقد كان عصي النفس أبيها اشتهرت خيوله بأسمائها كشهرته ، ورويت عنه قصص وأساطير عجيبة ، امتدت من الجاهلية حتى زمن الخليفة العباسي المتوكل على الله .

ومما يروى عنه أنه حين ظهر الأسود العنسي في اليمن وادعى النبوة استجاب له عمرو وأصبح خليفته في مذحج ، ولما قتل العنسي سلّم عمرو نفسه إلى القوات الإسلامية فأرسل موثوقاً إلى الخليفة أبي بكر فأنبه فاعتذر شاعرنا فأطلق الخليفة سراحه وعاد إلى قومه .

وفي السنة الثالثة عشرة للهجرة لبى عمرو وقومه نداء خالد بن الوليد في فتح الشام وابلي في موقعة اليرموك بلاءً حسناً وفقد عينه فيها .

اشترك بعدها في معركة القادسية ثم نزل في الكوفة مع رجاله واشترك فيما بعد في موقعتي جلولاء ونهاوند مات في بروذة (قرية في نهاوند) .

من رائع شعره :

في الأخلاق والشجاعة :

لَيْسَ الجَمالُ بِمئْزَرٍ	فاعْلَمْ، وإِنْ رُدِّيتَ بُرْدَا
إِنَّ الجَمالَ مَعادِنٌ	ومَناقِبٌ أَوْرَثْنَ مَجْدَا
أَعْدَدْتُ لِلحَدَثَانِ سا	بِغَةً وعَدَّاءً عَلَنْدى
نَهْداً، وذا شُطَبٍ يقد	البَيْضَ والأَبْدَان قَدَّا
وَعِلْمِتُ أَنِّي يومَ ذا	كَ مُنازِلٌ كَعْباً ونَهْأَدَا
قَوْمٌ إِذا لَبِسُوا الحديد	تَنَمَّرُوا حَلَقاً وقِدَّا

كُلُّ امْرِئٍ يَجْرِي إلى ... يَوْمِ الهِياجِ بِما اسْتَعَدَّا

لَمَّا رَأيْتُ نِساءَنا ... يَفْحَصْنَ بالمَعْزاءِ شَدَّا

وبَدَتْ لَمِيسُ كأنَّها ... قَمَرُ السَّماءِ إذا تَبَدّى

وبَدَتْ مَحاسِنُها التي ... تَخْفَى، وكانَ الأمْرُ جِدّا

نازَلْتُ كَبْشَهُمُ ولَمْ ... أرَ مِن نِزالِ الكَبْشِ بُدّا

كَمْ مِن أخٍ لِيَ صالِحٍ ... بَوَّأْتُهُ بِيدَيَّ لَحْدا

ما إنْ جَزِعْتُ ولاهَلِعت ولا يَرُدُّ بُكايَ زَنْدا

ألْبَسْتُهُ أثْوابَهُ ... وخُلِقْتُ، يومَ خُلِقْتُ جَلْدا

أَغْنِي غَناء الذاهبين ... أَعَدُّ لِلأعْداءِ عَدّا

ذَهَبَ الذينَ أَحِبُّهُمْ وبَقِيتُ مَثْلَ السَّيْفِ فَرْدا

ومن شعره :

يا دارَ أسماءَ بين السَفْحِ فالرُّحَبِ

يا دارَ أسماءَ بين السَفْحِ فالرُّحَبِ أَقْوَتْ وعَفَّى عليها ذَاهِبُ الحقبِ

فما تَبَيَّنَ منها غيرُ مُنْتَّضَدٍ وراسياتٍ ثلاثٍ حولَ مُنْتَصِبِ

وعَرْصَةُ الدارِ تَسْتَنُّ الرِّيَاحُ بِها تَحِنُّ فيها حَنينَ الوُلَّهِ السُّلُبِ

دَارٌ لأسْمَاءَ إذْ قلبي بها كَلِفٌ وإذ أَقَرِّب منها غيرَ مُقترِبِ

إنَّ الحبيبَ الذي أمسيتُ أهجرُهُ من غيرِ مَقْلِيَةٍ مِنِّي ولا غَضَبِ

أصُدُّ عنه ارتقاباً أنْ أَلَمَّ به ومَن يَخفْ قالةَ الوشينَ يَرْتَقبِ

إنِّي حَوَيْتُ على الأقوامِ مَكْرُمَةً ... قِدْمَاً وحَذَّرَنِي ما يَتَّقُونَ أبِي

فقال لي قولَ ذي رأيٍ ومَقدِرة ... بسَالِفَاتِ أمُورِ الدَّهْرِ والحِقَبِ

قد نِلْتَ مجداً فحاذِرْ أنْ تُدَنِّسِهُ ... أبٌ كريمٌ وجَدٌ غيرُ مُؤْتَشَبِ

أمَرْتُكَ الخيرَ فافعلْ ما أمِرتَ به ... فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وذَا نَشَبِ

واتْرُكْ خَلائِقَ قَوْمٍ لا خَلاَقَ لَهُمْ ... واعْمَدْ لأخْلاقِ أهلِ الفَضْلِ والأدَبِ

وإن دُعِيتَ لغدرٍ أو أمِرْتَ به ... فاهرُبْ بنفسِكَ عنه آبِدَ الهَرَبِ

ومن محاسن شعره معاتبته للأشعث بن قيس المرادي قصيدة قال فيها:

أعاذل شكتي بدني ورمحي   وكل مقلص سلس الجياد

أعاذل إنما أفنى شبابي   وأفرح عاتقي ثقل الزناد

وسيفي كان من عهد ابن صد   تخيره الفتى من قوم عاد

ورمحي العنبري تخال فيه   سناناً مثل مقباس الزناد

تمناني ليقتلني أبي   وددت وأينما مني ودادي

ولو لاقيتني ومعي سلاحي   تكشف شحم قلبك عن سواد

أريد حياته ويريد قتلي   عذيرك يا خليلي من مراد

وقالَ عَمْرُو بنُ مَعْدِيكَرِبَ:

أمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ   يُؤَرِّقُنِي وأصْحَابِي هُجُوعُ؟

يُنادِي مِنْ بَرَاقِشَ أو مَعِينٍ فأسْمَعَ واتلأبَّ بِنَا مَلِيعُ

وقَدْ جاوَزْنَ مِنْ غُمْدانَ دارًا لأبْوَالِ البِغالِ بهَا وَقيعُ

ورُبَّ مُحَرِّشٍ في جَنْبِ سَلْمَى يُعَلُّ بعَيْبِها عِنْدِي شَفِيعُ

كأنَّ الإثْمِدَ الحارِيَّ فِيها يُسَفُّ بحيثُ تَبْتَدِرُ الدُّمُوعُ

وأبكارٍ لَهَوْتُ بِهِنَّ حِينًا نَواعِمَ، في أسرَّتِهَا الرُّدُوعُ

أَمَشِّي حَوْلَها وأطَوفُ فِيها وتُعْجِبُني المَحَاجِرُ والفُرُوعُ

إذَا يَضْحَكْنَ أو يَبْسِمْنَ يَومًا ترَى بَرَدًا ألحَّ بهِ الصَّقِيعُ

كأنَّ عَلَى عَوَارِضِهِنَّ راحًا يُفَضُّ عليهِ رُمَّانٌ يَنيعُ

تَرَاها الدَّهْرَ مُقتِرَةً كِبَاءً وتَقْدَحُ صَحْفةً فيهَا نَقِيعُ

وصِبْغُ ثِيَابِها في زَعْفَرَانٍ بجُدَّتِها كَمَا احْمَرَّ النَّجِيعُ

وقدْ عَجِبَتْ أَمَامَةُ أنْ رَأتْنِي تَفرَّعَ لِمَّتي شَيْبٌ فَظِيعُ

وقدْ أغْدُو يُدَافِعُني سَبُوحٌ شَديدٌ أسْرُهُ فَعْمٌ سَرِيعُ

وأحْمِرَةُ الهُجَيْرَةِ كُلَّ يومٍ يَضُوعُ جِحَاشَهُنَّ بمَا يُضُوعُ

فأرْسَلَنَا رَبيئَتَنَا فَأوْفَى فقالَ ألاَ ألاَ خَمسٌ رُتُوعُ

رَبَاعِيَةٌ وقارِحُهَا وجَحْشٌ وهَادِيَةٌ وَتالِيَةٌ زَمُوعُ

فنَادَانَا أنَكْمُنُ أم نُبادِي فلمَّا مسَّ حالِبَهُ القَطِيعُ

أرَنَّ عَشِيَّةً فاسْتَعْجَلَتْهُ قوائمُ كُلّها رَبِذٌ سَطَوعُ

فَأَوْفَى عندَ أقْصَاهُنَّ شَخْصٌ يَلُوحُ كأَنَّهُ سَيفٌ صَنيعُ

تَرَاهُ حينَ يَعثَرُ في دماءٍ كمَا يمشِي بأقْدُحِهِ الخَلِيعُ

أشَابَ الرَّأسَ أيامٌ طِوَالٌ وهمٌّ ما تَبَلّغُهُ الضُّلُوعُ

وسَوقُ كَتِيبَةٍ دَلَفَتْ لأَخْرَى كأَنَّ زُهَاءَهَا رأسٌ صَليعُ

دنَتْ واستَأخَرَ الأوغالُ عنهَا وخُلِّيَ بينَهُمْ إلاَّ الوَرِيعُ

فِدًى لَهُمُ معًا عَمِّي وخَالِي وشَرْخُ شَبَابِهِم إنْ لَمْ يُضِيعُوا

وإسنادُ الأسِنَّةِ نحوَ نَحْرِي وهَزَّ المَشْرَفيَّةِ والوُقُوعُ

فإنْ تَنُبِ النوائبُ آلَ عُصْمٍ تَرَى حَكَمَاتِهِمْ فيهَا رُفُوعُ

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شيئًا فدَعْهُ   وجاوِزْهُ إلى مَا تَستَطِيعُ

وصِلْهُ بالزَّماعِ فكُلُّ أمرٍ   سَمَا لَكَ أو سَمَوْتَ لهُ وَلُوعُ

فكَمْ مِنْ غائِطٍ مِنْ دُونَ سَلَمى   قليلِ الأَنْسِ ليسَ بهِ كَتِيعُ

بهِ السِّرْحانُ مُفْتَرِشًا يديهِ   كأَنَّ بَيَاضَ لَبَّتِهِ الصَّدِيعُ

وأرضٍ قَدْ قَطَعْتُ بهَا الهَوَاهِي   مِنْ الجِنَّانِ سَرْبَخُهَا مَلِيعُ

تَرَى جِيَفَ المَطِيِّ بحافَتَيْهِ   كأَنَّ عِظَامَهَا الرَّخَمُ الوُقُوعُ

لَعَمْرُكَ ما ثَلاثٌ حائِمَاتٌ   عَلَى رُبَعٍ يَرُعْنَ ومَا يَرِيعُ

ونابٌ مَا يَعِيشُ لَهَا حُوَارٌ   شَدِيدُ الطَّعْنِ مِثْكَالٌ جَزُوعُ

سَدِيسٌ نَضَّجَتْهُ بعدَ حَمْلٍ   تَحَرَّى في الحَنِينِ وتَسْتَلِيعُ

بأوْجَعَ لَوْعَةً مِنِّي ووَجْدًا   غَداةَ تَحَمَّلَ الأنَسُ الجَمِيعُ

فإمَّا كُنْتِ سائِلَةً بِمُهْرِي   فَمُهْرِي إنْ سَألْتِ بهِ الرَّفِيعُ

-

قيس بن الملوح

هو قيس بن معاذ ويقال له قيس بن الملوح أحد بني جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، شاعر عذري حمل لواء الغزل فأغناه، وتغنى به وبشعره المغنون ووضع الرواء والقصاص حوله الروايات والأقاصيص الغريبة.

لقب بالمجنون لذهاب عقله بشدة عشقه، وكان هو وصاحبته ليلى يرعيان البهم وهما صبيان فعلقهما علاقة الصبا **وفي ذلك يقول** :

تعلقت ليلى وهي غِرٌ صغيرةٌ   ولم يبدُ للأترابِ من ثديها حجمُ

صبيان نرعى البُهمَ يا ليت أننا   إلى اليوم لم نكبر ولم يكبر البهمُ

وقد حجبها أبوها فهام على وجهه ينشد الأشعار ويأنس بالوحوش فيُرى حيناً في الشام وحيناً في الحجاز أو نجد إلى أن وجد مياً في الصحراء فحمل إلى أهله.

ويقول صاحب الأغاني : إن المجنون اسم مستعار لا حقيقة له في بني عامر أصل ولا نسب.

وذكر ابن الأعرابي أن جماعة من بني عامر سئلوا عن المجنون فلم يعرفوه وذكروا أن ما ينسب إليه من شعر هو مؤلف عليه.

وقال الأصفهاني في "الأغاني":-

هو – على ما يقوله من صحح نسبه وحديثه – قيسٌ، **وقيل**: مهدي، والصحيح أنه قيس بن الملوح بن مزاحم بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. ومن الدليل على أن اسمه قيسٌ قول ليلى صاحبته فيه:

ألا ليت شعري والخطوب كثيرةٌ
متى رحل قيس مستقلٌ فراجع

وليلاه هي (ليلى بنت مهدي بن سعد بن مهدي بن ربيعة ابن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة) ،وتكنى أم مالكٍ، وهما حينئذ صبيان، فعلق كل واحد منهما صاحبه وهما يرعيان مواشي أهلهما، فلم يزالا كذلك حتى كبرا فحجبت عنه .

□

قالوا: كان سبب عشق المجنون ليلى، أنه أقبل ذات يوم على ناقة له كريمةٍ وعليه حلتان من حلل الملوك، فمر بامرأة من قومه يقال لها: كريمة، وعندها جماعة نسوةٍ يتحدثن فيهن ليلى، فأعجبهن جماله وكماله، فدعونه إلى النزول والحديث، فنزل وجعل يحدثهن وأمر عبداً له كان معه فعقر لهن ناقته، وظل يحدثهن بقية يومه، فبينا هو كذلك إذ طلع عليهم فتىً عليه بردةٌ من برد الأعراب يقال له: منازل يوسق معزى له، فلما رأينه أقبلن عليه وتركن المجنون، فغضب وخرج من عندهن **وأنشأ يقول**:

أأعقر من جرا كريمة ناقتي ووصلي مفروشٌ لوصل منازل

إذا جاء قعقعن الحلي ولم أكن إذا جئت أرضى صوت تلك الخلاخل

متى ما انتضلنا بالسهام نضلته وإن نرم رشقاً عندها فهو ناضلي

قال: فلما أصبح لبس حلته وركب ناقة له أخرى ومضى متعرضاً لهن، فألفى ليلى قاعدةً بفناء بيتها وقد علق حبه بقلبها وهويته وعندها جويرياتٌ يتحدثن معها، فوقف بهن وسلم، فدعونه إلى النزول وقلن له: هل لك في محادثة من لا يشغله عنك منازلٌ ولا غيره؟ **فقال**:

إي لعمري، فنزل وفعل مثل ما فعله بالأمس، فأرادت أن تعلمٍ هل لها عنده مثل ما له عندها، فجعلت تعرض عن حديثه ساعةً بعد ساعةٍ وتحدث غيره، وقد كان علق بقلبه مثل حبها إياه وشغفته واستملحها، فبينا هي تحدثه، إذ أقبل فتىً من الحي فدعته وسارته سراراً طويلاً، ثم قالت له: انصرف، ونظرت إلى وجه المجنون قد تغير وانتقع لونه وشق عليه فعلها، **فأنشأت تقول**:

كلانا مظهرٌ للناس بغضاً وكل عند صاحبه مكين

تبلغنا العيون بما أردنا وفي القلبين ثم هوىً دفين

فلما سمع البيتين شهق شهقةً شديدة وأغمي عليه، فمكث على ذلك ساعةً، ونضحوا الماء على وجهه " حتى أفاق "وتمكن حب كل واحد منهما في قلب صاحبه حتى بلغ منه كل مبلغ.

ويقول صاحب الأغاني :

لما شهر أمر المجنون وليلى وتناشد الناس شعره فيها، خطبها وبذل لها خمسين ناقةً حمراء، وخطبها ورد بن محمد العقيلي وبذل لها عشراً من الإبل وراعيها، **فقال أهلها**:

نحن مخيروها بينكما، فمن اختارت تزوجته، ودخلوا إليها فقالوا: والله لئن لم تختاري ورداً لنمثلن بك، **فقال المجنون**:

ألا يا ليل إن ملكت فينا خيارك فانظري لمن الخيار

ولا تستبدلي مني دنياً ولا برماً إذا حب القتار

يهرول في الصغير إذا رآه وتعجزه ملماتٌ كبار

فمثل تأيم منه نكاحٌ ومثل تموِلٍ منه افتقار

فاختارت ورداً فتزوجته على كرهٍ منها.

ويقول الأصفهاني :

إن أبا المجنون وأمه ورجال عشيرته اجتمعوا إلى والد ليلى فوعظوه وناشدوه الله والرحم، وقالوا له: إن هذا الرجل لهالكٌ، وقبل ذلك ففي أقبح من الهلاك بذهاب عقله، وإنك فاجعٌ به أباه وأهله فنشدناك الله والرحم أن تفعل ذلك، فوالله ما هي أشرف منه، ولا لك مثل مال أبيه، وقد حكمك في المهر، وإن شئت أن يخلع نفسه إليك من ماله فعل، فأبى وحلف بالله وبطلاق أمها إنه لا يزوجه إياها أبداً **وقال**:

أفضح نفسي وعشيرتي وآتي ما لم يأته أحدٌ من العرب، وأسم ابنتي بميسم فضيحة فانصرفوا عنه، وخالفهم لوقته فزوجها رجلاً من

قومها وأدخلها إليه، فما أمسى إلا وقد بنى بها، وبلغه الخبر فأيس منها حينئذٍ وزال عقله جملةً، **فقال الحي لأبيه**:

أحجج به إلى مكة وادع الله عز وجل له، ومره أن يتعلق بأستار الكعبة، فيسأل الله يعافيه مما به ويبغضها إليه، فلعل الله أن يخلصه من هذا البلاء، فحج به أبوه، فلما صاروا بمنى سمع صائحاً في الليل يصيح: يا ليلى، فصرخ صرخةً ظنوا أن نفسه قد تلفت وسقط مغشياً عليه، فلم يزل كذلك حتى أصبح ثم أفاق حائل اللون ذاهلاً، فأنشأ **يقول**: صوت.

عرضت على قلبي العزاء فقال لي   من الآن فاياس لا أعزك من صبر

إذا بان من تهوى وأصبح نائياً   فلا شيء أجدى من حلولك في القبر

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منىً   فهيج أطراب الفؤاد وما يدري

أطار بليلى طائراً كان في
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما صدري

دعا باسم ليلى ظلل الله سعيه وليلى بأرضٍ عنه نازحةٍ قفر

ثم قال له أبوه: تعلق بأستار الكعبة واسأل الله أن يعافيك من حب ليلى، فتعلق بأستار الكعبة. وقال: اللهم زدني لليلى حباً وبها كلفاً ولا تنسني ذكرها أبداً، فهام حينئذٍ واختلط فلم يضبط.

قالوا: فكان يهيم في البرية مع الوحش ولا يأكل إلا ما ينبت في البرية من بقل ولا يشرب إلا مع الظباء إذا وردت مناهلها، وطال شعر جسده ورأسه وألفته الظباء والوحوش فكانت لا تنفر منه، وجعل يهيم حتى يبلغ حدود الشام، فإذا ثاب إليه عقله سأل من يمر به من أحياء العرب عن نجدٍ، فيقال له: وأين أنت من نجد**!** قد شارفت الشام**!** أنت في موضع كذا، فيقول: فأروني وجهة الطريق، فيرحمونه ويعرضون عليه أن يحملوه وأن يكسوه فيأبى، فيدلونه على طريق نجد فيتوجه نحوه.

ويقول أبو الفرج الأصفهاني :

حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي والعتبي قالا: مر المجنون بزوج ليلى وهو جالسٌ يصطلي في يومٍ شاتٍ، وقد أتى ابن عم له في حي المجنون لحاجةٍ، فوقف عليه **ثم أنشأ يقول**:

بربك هل ضممت إليك ليلى قبيل الصبح أو قبلت فاها؟

وهل رفت عليك قرون ليلى رفيف الأقحوانة في نداها؟

فقال: اللهم إذ حلفتني فنعم، قال: فقبض المجنون بكلتا يديه قبضتين من الجمر، فما فارقهما حتى سقط مغشياً عليه، وسقط الجمر مع لحم راحتيه، وعض على شفته فقطعها، فقام زوج ليلى مغموماً بفعله متعجباً منه فمضى.

وقال محمد بن الحكم عن عوانة: إنه حدثه ووافقه ابن نصر وابن حبيب قالوا: إن أهل المجنون خرجوا به معهم إلى وادي القرى قبل توحشه ليمتاروا خوفاً عليه "من"أن يضيع أو يهلك، فمروا في طريقهم بجبلي نعمان، فقال له بعض فتيان الحي: هذان جبلا نعمان، وقد كانت ليلى تنزل بهما، قال: فأي الرياح يأتي من ناحيتهما؟ قالوا: الصبا، **قال**:

فو الله لا أريم هذا الموضع حتى تهب الصبا، فأقام ومضوا فامتاروا لأنفسهم، ثم أتوا عليه فأقاموا معه ثلاثة أيام حتى هبت الصبا، ثم انطلق معهم **فأنشأ يقول**:

أيا جبلي نعمان بالله خليا   سبيل الصبا يخلص إلي نسيمها

أجد بردها أو تشف مني حرارةً   على كبدٍ لم يبق إلا صميمها

فإن الصبا ريحٌ إذا ما تنسمت   على نفس محزونٍ تجلت همومها

أخبرني عبد الجبار بن سليمان بن نوفل بن مساحقٍ عن أبيه عن جده قال: أنا رأيت مجنون بني عامر، وكان جميلَ الوجه أبيض اللون قد علاه شحوبٌ، واستنشدته **فأنشدني قصيدته التي يقول فيها**:

تذكرت ليلى والسنين الخواليا   وأيام لا أعدي على اللهو عادياً

وقال حدثني علي بن سهل عن المدائني: أنه ذكر عنده مجنون بني عامر فقال: لم يكن مجنوناً، وإنما قيل له المجنون **بقوله**:

وإني لمجنونٌ بليلى موكلٌ ولست عزوفاً عن هواها ولا جلدا

إذا ذكرت ليلى بكيت صبابةً لتذكارها حتى يبل البكا الخدا

وقال حدثنا عون بن عبد الله العامري أنه قال: ما كان والله المجنون الذي تعزونه إلينا مجنوناً، إنما كانت به لوثةٌ وسهوٌ أحدثهما به حب ليلى، **وأنشد له**:

وبي من هوى ليلى الذي لو أبثه جماعة أعدائي بكت لي عيونها

أرى النفس عن ليلى أبت أن تطيعني فقد جن من وجدي بليلى جنونها

وقال: ذكر العتبي عن أبيه قال: كان المجنون في بدء أمره يرى ليلى ويألفها ويأنس بها ثم غيبت عن ناظره، فكان أهله يعزونه عنها ويقولون: نزوجك أنفس جاريةٍ في عشيرتك، فيأبى إلا ليلى ويهذي بها ويذكرها "فكان ربما استراح إلى أمانيهم وركن إلى قولهم"، وكان ربما هاج عليه الحزن والهم فلا يملك مما هو فيه أن يهيم على وجهه، وذلك قبل أن يتوحش مع البهائم في القفار، فكان قومه

يلومونه ويعذلونه فأكثروا عليه في الملامة والعذل يوماً **فقال**:

يا للرجال لهمٍّ بت يعروني	مستطرفٍ وقديمٍ كان يعنيني
على غريم مليء غير ذي عدم	يأبى فيمطلني ديني ويلويني
لا يذكر البعض من ديني فينكره	ولا يحدثني أن سوف يقضيني
وما كشكري شكرٌ لو يوافقني	ولا منىً كمناه إذ يمنيني
أطعته وعصيت الناس كلهم	في أمره ثم يأبى فهو يعصيني
خيري لمن يبتغي خيري ويأمله	من دون شري وشري غير مأمون
وما أشارك في رأيي أخاً ضعفٍ	ولا أقول أخي من لا يواتيني

ويروي الأصفهاني :

إن عثمان بن عمارة المري أخبرهم أن شيخاً منهم من بني مرة حدثه أنه خرج إلى أرض بني عامر ليلقى المجنون، قال: فدللت على محلته فأتيتها، فإذا أبوه شيخ كبيرٌ وإخوةٌ له رجال، وإذا نعمٌ

كثيرٌ وخيرٌ ظاهرٌ، فسألتهم عنه فاستعبروا جميعاً، وقال الشيخ: والله لهو كان آثر في نفسي من هؤلاء وأحبهم إلي! وإنه هوي امرأةً من قومه، والله ما كانت تطمع في مثله، فلما أن فشا أمره وأمرها كره أبوها أن يزوجها منه بعد ظهور الخبر فزوجها من غيره، فذهب عقل ابني ولحقه خبلٌ وهام في الفيافي وجداً عليها، فحبسناه وقيدناه، فجعل يعض لسانه وشفتيه حتى خفنا "عليه" أن يقطعها فخلينا سبيله، فهو يهيم في "هذه" الفيافي مع الوحوش يذهب إليه كل يوم بطعامه فيوضع له حيث يراه، فإذا تنموا عنه جاء فأكل منه.

قال: فسألتهم أن يدلوني عليه، فدلوني على فتىً من الحي صديقاً له وقالوا: إنه لا يأنس إلا به ولا يأخذ أشعاره عنه غيره، فأتيته فسألته أن يدلني عليه؛ فقال: إن كنت تريد شعره فكل شعرٍ قاله إلى أمس عندي، وأنا ذاهبٌ إليه غداً فإن قال شيئاً أتيتك به؛ فقلت: بل " أريد أن" تدلني عليه لآتيه؛ فقال لي: إنه إن نفر منك نفر مني فيذهب شعره فأبيت إلا أن يدلني عليه؛ فقال اطلبه في هذه الصحاري "إذا رأيته" فادن "منه" مستأنساً ولا تره أنك تهابه، فإنه يتهددك ويتوعدك أن يرميك بشيء، فلا يروعنك واجلس صارفاً بصرك عنه والحظه أحياناً فإذا رأيته قد سكن من نفاره فأنشده شعراً غزلاً، وإن كنت تروي من شعر قيس بن ذريح شيئاً فأنشده إياه فإنه معجبٌ به؛ فخرجت فطلبته يومي إلى العصر فوجدته جالساً على رمل قد خط فيه بأصبعه خطوطاً، فدنوت منه غير منقبضٍ، فنفر مني نفور الوحش من الإنس وإلى جانبه أحجارٌ فتناول حجراً فأعرضت عنه،

فمكث ساعةً كأنه نافرٌ يريد القيام، فلما طال جلوسي سكن وأقبل يخط بأصبعه، فأقبلت عليه وقلت: أحسن والله قيس بن ذريحٍ **حيث يقول**:

ألا يا غراب البين ويحك نبني		بعلمك في لبنى وأنت خبير
فإن أنت لم تخبر بشيءٍ لمته		فلا طرت إلا والجناح كسير
ودرت بأعداءٍ حبيبك فيهم		كما قد تراني بالحبيب أدور

فأقبل علي وهو يبكي فقال: أحسن والله، وأنا أحسن منه قولاً **حيث أقول**:

كأن القلب ليلة قيل يغدى		بليلى العامرية أو يراح
قطاةٌ عزها شركٌ فباتت		تجاذبه وقد علق الجناح

فأمسكت عنه هنيهةً، ثم أقبلت عليه فقلت: وأحسن الله قيس بن ذريح **حيث يقول**:

وإني لمفنٍ دمع عيني بالبكا		حذاراً لما قد كان أو هو كائن
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلةٍ		فراق حبيبٍ لم يبن وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتي		بكفيك إلا أن من حان حائن

قال: فبكى – والله – حتى ظننت أن نفسه قد فاضت، وقد رأيت دموعه قد بلت الرمل الذي بين يديه، ثم قال: أحسن لعمر الله، وأنا والله أشعر منه **حيث أقول**:

وأدنيتني حتى إذا ما سبيتني		بقولٍ يحل العصم سهل الأباطح
تناءيت عني حين لا لي حيلةٌ		وخلفت ما خلفت بين الجوانح

ويروى: " وغادرت ما غادرت" ثم سنحت له ظبيةٌ فوثب يعدو خلفها حتى غاب عني وانصرفت، وعدت من غدٍ فطلبته فلم أجده وجاءت امرأةٌ كانت تصنع له طعامه إلى الطعام فوجدته بحاله، فلما كان في اليوم الثالث غدوت وجاء أهله معي فطلبناه يومنا فلم نجده وغدونا في اليوم الرابع نستقري أثره حتى وجدناه في وادٍ كثير

الحجارة خشنٍ، وهو ميتٌ بين تلك الحجارة، فاحتمله أهله فغسلوه وكفنوه ودفنوه.

قال الهيثم: فحدثني جماعةٌ من بني عامر: أنه لم تبق فتاةٌ من بني جعدة ولا بني الحريش إلا خرجت حاسرةً صارخةً عليه تندبه؛ واجتمع فتيان الحي يبكون عليه أحر بكاء، وينشجون عليه أشد نشيج وحضرهم حي ليلى معزين وأبوها معهم فكان أشد القوم جزعاً وبكاءً عليه، **وجعل يقول**:

ما علمنا أن الأمر يبلغ كل هذا، ولكني كنت امرأ عربياً أخاف من العار وقبح الأحدوثة ما يخافه مثلي، فزوجتها وخرجت عن يدي ولو علمت أن أمره يجري على هذا ما أخرجتها عن يده ولا احتملت ما كان علي في ذلك. قال: فما رئي يومٌ كان أكثر باكيةً وباكياً على ميتٍ من يومئذٍ.

من قصائده:-

تذكرتُ ليلى والسنين الخواليا (المؤنسة)

تَذَكَّرتُ لَيلى وَالسِنينَ الخَوالِيا   وَأَيّامَ لا نَخشى عَلى اللَهوِ ناهِيا

وَيَومٍ كَظِلِّ الرُمحِ قَصَّرتُ ظِلَّهُ بِلَيلى فَلَهّاني وَما كُنتُ لاهِيا

بِثَمدينَ لاحَت نارُ لَيلى وَصُحبَتي بِذاتِ الغَضى تُزجي المَطِيَّ النَواجِيا

فَقالَ بَصيرُ القَومِ أَلمَحتُ كَوكَباً بَدا في سَوادِ اللَيلِ فَرداً يَمانِيا

فَقُلتُ لَهُ بَل نارُ لَيلى تَوَقَّدَت بِعَليا تَسامى ضَوءُها فَبَدا لِيا

فَلَيتَ رِكابَ القَومِ لَم تَقطَعِ الغَضى وَلَيتَ الغَضى ماشى الرِكابَ لَيالِيا

فَيا لَيلَ كَم مِن حاجَةٍ لي مُهِمَّةٍ إِذا جِئتُكُم بِاللَيلِ لَم أَدرِ ماهِيا

خَليلَيَّ إِن تَبكِيانِيَ أَلتَمس خَليلاً إِذا أَنزَفتُ دَمعي بَكى لِيا

فَما أَشرِفُ الأَيفاعَ إِلّا صَبابَةً وَلا أُنشِدُ الأَشعارَ إِلا تَداوِيا

وَقَد يَجمَعُ اللَهُ الشَتيتَينِ بَعدَما   يَظُنّانِ كُلَّ الظَنِّ أن لا تَلاقِيا

لَحى اللَهُ أقواماً يَقولونَ إِنَّنا   وَجَدنا طَوالَ الدَهرِ لِلحُبِّ شافِيا

وَعَهدي بِلَيلى وَهيَ ذاتُ مُؤَصِّدٍ   تَرُدُّ عَلَينا بِالعَشِيِّ المَواشِيا

فَشَبَّ بَنو لَيلى وَشَبَّ بَنو اِبنِها   وَأعلاقُ لَيلى في فُؤادي كَما هِيا

إِذا ما جَلَسنا مَجلِساً نَستَلِذّهُ   تَواشَوا بِنا حَتّى أَمَلَّ مَكانِيا

سَقى اللَهُ جاراتٍ لِلَيلى تَباعَدَت   بِهِنَّ النَوى حَيثُ اِحتَلَلنَ المَطالِيا

وَلَم يُنسِني لَيلى اِفتِقارٌ وَلا غِنىً   وَلا تَوبَةٌ حَتّى اِحتَضَنتُ السَوارِيا

وَلا نِسوَةٌ صَبِّغنَ كَبداءَ جَلعَداً لِتُشبِهَ لَيلى ثَمَّ عَرَّضنَها لِيا

خَليلَيَّ لا وَاللَهِ لا أَملِكُ الَّذي قَضى اللَهُ في لَيلى وَلا ما قَضى لِيا

قَضاها لِغَيري وَاِبتَلاني بِحُبِّها فَهَلّا بِشَيءٍ غَيرِ لَيلى اِبتَلانِيا

وَخَبَّرتُماني أَنَّ تَيماءَ مَنزِلٌ لِلَيلى إِذا ما الصَيفُ أَلقى المَراسِيا

فَهَذي شُهورُ الصَيفِ عَنّا قَدِ اِنقَضَت فَما لِلنَوى تَرمي بِلَيلى المَرامِيا

فَلَو أَنَّ واشٍ بِاليَمامَةِ دارُهُ وَداري بِأَعلى حَضرَموتَ اِهتَدى لِيا

وَماذا لَهُم لا أحسَنَ اللَهُ حالُهُم مِنَ الحَظَ في تَصريمِ لَيلى حَبالِيا

وَقَد كُنتُ أعلو حُبَّ لَيلى فَلَم يَزَل بِيَ النَقضُ وَالإِبرامُ حَتّى عَلانِيا

فَيا رَبِّ سَوّي الحُبَّ بَيني وَبَينَها يَكونُ كَفافاً لا عَلَيَّ وَلا لِيا

فَما طَلَعَ النَجمُ الّذي يُهتَدى بِهِ وَلا الصُبحُ إِلّا هَيَّجا ذِكرَها لِيا

وَلا سِرتُ ميلاً مِن دِمَشقَ وَلا بَدا سُهَيلٌ لِأَهلِ الشامِ إِلا بَدا لِيا

وَلا سُمِّيَت عِندي لَها مِن سَمِيَّةٍ مِنَ الناسِ إِلّا بَلَّ دَمعي رِدائِيا

وَلا هَبَّتِ الريحُ الجُنوبُ لِأَرضِها مِنَ اللَيلِ إِلّا بِتُّ لِلريحِ حانِيا

فَإِن تَمنَعوا لَيلى وَتَحموا بِلادَها عَلَيَّ فَلَن تَحموا عَلَيَّ القَوافِيا

فَأَشهَدُ عِندَ اللهِ أَنّي أُحِبُّها فَهذا لَها عِندي فَما عِندَها لِيا

قَضى اللهُ بِالمَعروفِ مِنها لِغَيرِنا وَبِالشَوقِ مِنّي وَالغَرامِ قَضى لَيا

وَإِنَّ الَّذي أَمَّلتُ يا أُمَّ مالِكٍ أَشابَ فُوَيدي وَاِستَهامَ فُؤادَيا

أَعُدُّ اللَيالي لَيلَةً بَعدَ لَيلَةٍ وَقَد عِشتُ دَهراً لا أَعُدُّ اللَيالِيا

وَأَخرُجُ مِن بَينِ البُيوتِ لَعَلَّني أُحَدِّثُ عَنكِ النَفسَ بِاللَيلِ خالِيا

أَراني إِذا صَلَّيتُ يَمَّمتُ نَحوَها بِوَجهي وَإِن كانَ المُصَلّى وَرائِيا

وَما بِيَ إِشراكٌ وَلَكِنَّ حُبَّها
وَعُظمَ الجَوى أعيا الطَبيبَ المُداوِيا

أَحِبُّ مِنَ الأسماءِ ما وافَقَ اِسمَها
أَوَ اِشبَهَهُ أَو كانَ مِنهُ مُدانِيا

خَليلَيَّ لَيلى أكبَرُ الحاجِ وَالمُنى
فَمَن لي بِلَيلى أو فَمَن ذا لَها بِيا

لَعَمري لَقَد أبكَيتِني يا حَمامَةَ ال
عَقيقِ وَأَبكَيتِ العُيونَ البَواكِيا

خَليلَيَّ ما أرجو مِنَ العَيشِ بَعدَما
أرى حاجَتي تُشرى وَلا تُشتَرى لِيا

وَتُجرِمُ لَيلى ثُمَّ تَزعُمُ أَنَّني
سَلوتُ وَلا يَخفى عَلى الناسِ ما بِيا

فَلَم أَرَ مِثلَينا خَليلَي صَبابَةٍ أَشَدَّ عَلى رَغمِ الأَعادي تَصافِيا

خَليلانِ لا نَرجو اللِقاءَ وَلا نَرى خَليلَينِ إِلّا يَرجُوانِ تَلاقِيا

وَإِنّي لَأَستَحيِيكِ أَن تَعرِضِ المُنى بِوَصلِكِ أَو أَن تَعرِضي في المُنى لِيا

يَقولُ أُناسٌ عَلَّ مَجنونَ عامِرٍ يَرومُ سُلوّاً قُلتُ أَنّى لِما بِيا

بِيَ اليَأسُ أَو داءُ الهُيامِ أَصابَني فَإِيّاكَ عَنّي لا يَكُن بِكَ ما بِيا

إِذا ما اِستَطالَ الدَهرُ يا أُمَّ مالِكٍ فَشَأنُ المَنايا القاضِياتِ وَشانِيا

إِذا اِكتَحَلَت عَيني بِعَينِكِ لَم تَزَل بِخَيرٍ وَجَلَّت غَمرَةً عَن فُؤادِيا

فَأنتِ الّتي إِن شِئتِ أشقَيتِ عِيشَتي وَأَنتِ الَّتي إِن شِئتِ أَنعَمتِ بالِيا

وَأنتِ الّتي ما مِن صَديقٍ وَلا عِداً يَرى نِضوَ ما أَبقَيتِ إِلا رَثى لِيا

أَمَضروبَةٌ لَيلى عَلى أن أَزورَها وَمُتَّخَذٌ ذَنباً لَها أَن تَرانِيا

إِذا سِرتُ في الأَرضِ الفَضاءِ رَأَيتُني أُصانِعُ رَحلي أن يَميلَ حِيالِيا

يَميناً إِذا كانَت يَميناً وَإِن تَكُن شِمالاً يُنازِعنِ الهَوى عَن شِمالِيا

وَإِنّي لَأستَغشي وَما بِيَ نَعسَةٌ لَعَلَّ خَيالاً مِنكِ يَلقى خَيالِيا

هِيَ السِحرُ إِلّا أَنَّ لِلسِحرِ رُقيَةً   وَأَنِّيَ لا أَلفي لَها الدَهرَ راقِيا

إِذا نَحنُ أَدلَجنا وَأَنتِ أَمامَنا   كَفا لِمَطايانا بِذِكراكِ هادِيا

ذَكَت نارُ شَوقي في فُؤادي فَأَصبَحَت   لَها وَهَجٌ مُستَضرَمٌ في فُؤادِيا

أَلا أَيُّها الرَكبُ اليَمانونَ عَرَّجوا   عَلَينا فَقَد أَمسى هَواناً يَمانِيا

أَسائِلُكُم هَل سالَ نَعمانُ بَعدَنا   وَحُبَّ إِلَينا بَطنُ نَعمانَ وادِيا

أَلا يا حَمامَي بَطنِ نَعمانَ هِجتُما   عَلَيَّ الهَوى لَمّا تَغَنَّيتُما لِيا

وَأَبكَيتُماني وَسطَ صَحبي وَلَم أَكُن   أُبالي دُموعَ العَينِ لَو كُنتُ خالِيا

وَيا أيُّها القُمرِيَّتانِ تَجاوَبا   بِلَحنَيكُما ثُمَّ اِسجَعا عَلّانِيا

فَإِن أنتُما اِسطَترَبتُما أو أرَدتُما   لَحاقاً بِأطلالِ الغَضى فَاِتبَعانِيا

ألا لَيتَ شِعري ما لِلَيلى وَمالِيا   وَما لِلصِبا مِن بَعدِ شَيبٍ عَلانِيا

أَلا أَيُّها الواشي بِلَيلى أَلا تَرى   إِلى مَن تَشيها أَو بِمَن جِئتُ واشِيا

لَئِن ظَعَنَ الأحبابُ يا أَمَّ مالِكٍ   فَما ظَعَنَ الحُبُّ الّذي في فُؤادِيا

فَيا رَبِّ إِذ صَيَّرتَ لَيلى هِيَ المُنى   فَزِنّي بِعَينَيها كَما زِنتَها لِيا

وَإِلا فَبَغِّضها إِلَيَّ وَأهلَها   فَإِنّي بِلَيلى قَد لَقيتُ الدَواهِيا

عَلى مِثلِ لَيلى يَقتُلُ المَرءُ نَفسَهُ وَإِن كُنتُ مِن لَيلى عَلى اليَأسِ طاوِيا

خَليلَيَّ إِن ضَنّوا بِلَيلى فَقَرِّبا لِيَ النَعشَ وَالأَكفانَ وَاِستَغفِرا لِيا

وإن مت من داء الصبابة فأبلغا شبيهة ضوء الشمس مني سلاميا

ومن رائع شعره :

أيَا هَجَرْ ليْلى قَدْ بَلغْتَ بِيَ المَدَى

أيَا هَجَرْ ليْلى قَدْ بَلغْتَ بِيَ المَدَى وَزِدْتَ عَلَى ما لَمْ يَكُنْ بَلَغَ الهَجْرُ

عَجِبْتُ لِسْعَي الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَها فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْننا سَكَنَ الدَّهْرُ

فَيَا حُبَّها زِدْنِي جَوىً كُلَّ لَيْلَةٍ ويا سلوة الأيام موعدك الحشر

تكاد يدي تندى إذا ما لمستها	وينبت في أطرافها الورق النضر
وَوَجْهٍ لَهُ دِيبَاجَةٌ قُرشِيَّةٌ	به تكشف البلوى ويستنزل القطر
ويهتز من تحت الثياب قوامها	كَما اهتزَّ غصنُ البانِ والفننُ النَّضْرُ
فيا حبَّذا الأحياءُ ما دمتِ فيهمِ	ويا حبذا الأموات إن ضمك القبر
وإني لتعروني لذكراك نفضة	كمَا انْتَفضَ الْعُصْفُرُ بلّلَهُ الْقَطْرُ
عسى إن حججنا واعتمرنا وحرمت	زِيارَةُ لَيْلَى أنْ يَكُونَ لَنَا الأَجْرُ
فما هو إلا أن أراه افجاءة	فَأَبْهَتُ لاَ عُرْفٌ لَدَيَّ وَلاَ نكْرُ

فلو أن ما بي بالحصا فلق الحصا
وبالصخرة الصماء لانصدع الصخر

ولو أن ما بي بالوحش لما رعت
وَلاَ سَاغَهَا المَاءُ النَّمِيرُ وَلا الزَّهْرُ

ولو أن ما بي بالبحار لما جرى
بِأمْوَاجِهَا بَحْرٌ إذا زَخَرالْبَحْرُ

ويقول :

يقولون ليْلى بالْعِرَاقِ مَريضةٌ

يقولون ليْلى بالْعِرَاقِ مَريضة
فَمَا لَكَ لا تَضْنَى وأنْتَ صَديقُ

سقى الله مرضى بالعراق فإنني
على كل مرضى بالعراق شفيق

فإنْ تَكُ يْللَىَ بالْعِراقِ مَريضَة فإني في بحر الحتوف غريق

أهِيم بأقْطارِ البلادِ وعَرْضِهَا ومالي إلى ليلى الغداة طريق

كأنَّ فُؤَادِي فِيهِ مُورٍ بِقادِحٍ وفيه لهيب ساطع وبروق

إذا ذَكرَتْها النفْس مَاتَتْ صَبابَة لَها زَفْرَةٌ قَتَّالةٌ وَشَهِيقُ

سبتني شمس يخجل البدر نورها ويكسف ضوء البرق وهو بروق

غُرابِيَّة الْفرْعَيْنِ بَدرِيَّةُ السَنا وَمَنظَرُها بَادِي الْجَمَال أنِيقُ

وَقد صِرْتُ مَجْنُوناً مِنَ الْحُبِّ هَائِماً كأنِّيَ عانٍ في القُيُودِ وَثِيقُ

أظل رَزيحَ الْعَقْل مَا أَطْعَمُ الكرَى ... وللقلب مني أنة وخفوق

بَرى حُبُّها جِسْمِي وَقلبِي وَمُهْجَتِي ... فلم يبق إلا أعظم وعروق

فلاَ تعْذلُونِي إنْ هَلَكْتُ تَرَحَّمُوا ... عَليَّ فَفَقْدُ الرُّوحِ ليْسَ يَعُوقُ

وخطوة على قبري إذا مت واكتبوا ... قَتِيلُ لِحاظٍ مَاتَ وَهوَ عَشِيقُ

إلى اللهِ أشْكُو مَا ألاَقِي مِنَ الْهَوَى ... بليلى ففي قلبي جوى وحريق

ويقول :

وأجْهَشْتُ لِلتَّوْبَادِ حِينَ رَأيْتُهُ

وأجْهَشْتُ لِلتَّوْبَادِ حِينَ رَأيْتُهُ ... وهلل للرحمن حين رآني

وأذْرَيْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ لَمَّا رَأيْتُهُ ... ونادَى بأعْلَى صَوْتِهِ ودَعَانِي

فَقُلْتُ له أين الَّذينَ عَهِدْتُهُمْ حواليك في خصب وطيب زمان؟

فقال مضوا واستودعوني بلادهم ومن ذا الذي يبقى مع الحدثان

وأني لأبكي اليوم من حذري غداً فراقك والحيان مؤتلفان

سِجَالاً وَتَهْتاناً ووَبْلاً ودِيمَةً وسَحّاً وتسْجَاماً إلى هَمَلاَنِ

قيس بن ذريح

هو قيس بن ذريح بن سنة بن حذافة الكناني.

من عشاق العرب المشهورين ، اشتهر بقيس لبنى لأنه أحب لبنى بنت الحباب الكعبية التي أحبته بدورها، فدافع أبوه عن ذلك إلى أن توسط الإمام الحسين، وهكذا تزوج قيس من لبنى ولكن لم يرزقا أولاداً فأكره ذريح ابنه قيساً على طلاق لبنى فأثر ذلك في عقله وجعل يهيم على وجهه. وتطاول شقاء العاشقين فماتت لبنى ثم مات قيس وشيكاً بعدها ودفن إلى جانبها.

ويروي الأصفهاني قصة قيس مع لبنى ، **يقول** :

كان منزل قومه في ظاهر المدينة، وكان هو وأبوه من حاضرة المدينة. وذكر خالد بن كلثوم أن منزله كان بسرف (مكان قبيلته) فمر قيس لبعض حاجته بخيام بني كعب بن خزاعة، فوقف على خيمة منها والحي خلوف والخيمة خيمة لبنى بنت الحباب الكعبية فاستسقى ماءً، فسقته وخرجت إليه به، وكانت امرأةً مديدة القامة شهلاء حلوة المنظر والكلام. فلما رآها وقعت في نفسه، وشرب الماء. فقالت له: أتنزل فتتبرد عندنا؟ قال: نعم. فنزل بهم. وجاء أبوها فنحر له وأكرمه. فانصرف قيس وفي قلبه من لبنى حرٌ لا يطفأ، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع وروي.

ثم أتاها يوماً آخر وقد اشتد وجده بها، فسلم فظهرت له وردت سلامه وتحفت به؛ فشكا إليها ما يجد بها وما يلقى من حبها، وشكت إليه مثل ذلك فأطالت؛ وعرف كل واحد منهما ما له عند صاحبه.

فانصرف إلى أبيه وأعلمه حاله وسأله أن يزوجه إياها. فأبى عليه **وقال**: يا بني، عليك بإحدى بنات عمك فهن أحق بك. وكان ذريح كثير المال موسراً، فأحب ألا يخرج ابنه إلى غريبة. فانصرف قيس وقد ساءه ما خاطبه أبوه به. فأتى أمه فشكا ذلك إليها واستعان بها على أبيه فلم يجد عندها ما يحب.

فأتى الحسين بن علي بن أبي طالب وابن أبي عتيق فشكا إليهما ما به وما رد عليه أبوه.

فقال له الحسين: أنا أكفيك. فمشى معه إلى أبي لبنى. فلما بصر به أعظمه ووثب إليه، وقال له: يابن رسول الله، ما جاء بك؟ ألا بعثت إلي فأتيتك ! قال: إن الذي جئت فيه يوجب قصدك وقد جئتك خاطباً ابنتك لبنى لقيس بن ذريح.

فقال: يا بن رسول الله، ما كنا لنعصي لك أمراً وما بنا عن الفتى رغبة، ولكن أحب الأمر إلينا أن يخطبها ذريح أبوه علينا وأن يكون ذلك عن أمره، فإنا نخاف إن لم يسع أبوه في هذا أن يكون عاراً وسبةً علينا.

فأتى الحسين رضي الله عنه ذريحاً وقومه وهم مجتمعون فقاموا إليه إعظاماً له وقالوا له مثل قول الخزاعيين. فقال لذريح: أقسمت عليك إلا خطبت لبنى لابنك قيس. قال: السمع والطاعة لأمرك. فخرج معه في وجوه من قومه حتى أتوا لبنى فخطبها ذريحٌ على ابنه إلى أبيها فزوجه إياها، وزفت إليه بعد ذلك.

فأقامت معه مدة لا ينكر أحدٌ من صاحبه شيئاً. وكان أبر الناس بأمه، فألهته لبنى وعكوفه عليها عن بعض ذلك، فوجدت أمه في نفسها وقالت: لقد شغلت هذه المرأة ابني عن بري؛ ولم تر للكلام في ذلك موضعا حتى مرض مرضاً شديداً. فلما برأ من علته قالت أمه لأبيه:

لقد خشيت أن يموت قيسٌ وما يترك خلفاً وقد حرم الولد من هذه المرأة، وأنت ذو مال فيصير مالك إلى الكلالة ، فزوجه بغيرها لعل الله يرزقه ولداً، وألحت عليه في ذلك. فأمهل قيساً حتى إذا اجتمع قومه دعاه فقال: يا قيس، إنك اعتللت هذه العلة فخفت عليك ولا ولد لك ولا لي سواك.

وهذه المرأة ليست بولود؛ فتزوج إحدى بنات عمك لعل الله أن يهب لك ولداً تقر به عينك وأعيننا. فقال قيس: لست متزوجاً غيرها أبداً.

فقال له أبوه: فإن في مالي سعةً فتسر بالإماء. قال: ولا أسوءها بشيء أبداً والله. قال أبوه: فإني أقسم عليك إلا طلقتها. فأبى وقال: الموت والله علي أسهل من ذلك، وأطاع أمر والديه وطلقها .

قالوا: فلما بانت لبنى بطلاقه إياها وفرغ من الكلام، لم يلبث حتى استطير عقله وذهب به ولحقه مثل الجنون. وتذكر لبنى وحالها معه فأسف وجعل يبكي وينشج أحر نشيج. وبلغها الخبر فأرسلت إلى أبيها ليحتملها، وقيل: بل أقامت حتى انقضت عدتها وقيسٌ يدخل عليها. فأقبل أبوها بهودج على ناقة وبإبل تحمل أثاثها. فلما رأى ذلك قيس أقبل على جاريتها فقال: ويحك ! ما دهاني فيكم؟ **فقالت**:

لا تسألني وسل لبنى. فذهب ليلم بخبائها فيسألها، فمنعه قومها. فأقبلت عليه امرأة من قومه فقالت له: ما لك ويحك تسأل كأنك جاهلٌ أو تتجاهل! هذه لبنى ترتحل الليلة أو غداً. فسقط مغشياً عليه لا يعقل ثم أفاق **وهو يقول**:

وإني لمفنٍ دمع عيني بالبكا حذار الذي قد كان أو هو كائن

وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلةٍ فراق حبيبٍ لم يبن وهو بائن

وما كنت أخشى أن تكون منيتي بكفيك إلا أن ما حان حائن

فلما ظعنت قال:

وكل مصيبات الزمان وجدتها سوى فرقة الأحباب هينة الخطب

قالوا:

وجعل قيس يعاتب نفسه في طاعته أباه في طلاقه لبنى **ويقول**:

فألا رحلت بها عن بلده فلم أر ما يفعل ولم يرني! فكان إذا فقدني أقلع عما يفعله وإذا فقدته لم أتحرج من فعله! وما كان علي لو اعتزلته وأقمت في حيها أو في بعض بوادي العرب، أو عصيته فلم أطعه ! هذه جنايتي على نفسي فلا لوم على أحد ! وهأنذا ميتٌ مما فعلته، فمن يرد روحي إلي! وهل لي سبيل إلى لبنى بعد الطلاق وكلما قرع نفسه وأنبها بلونٍ من التقريع والتأنيب بكى أحر بكاء وألصق خده بالأرض ووضعه على آثارها **وأنشد يقول** :

بانت لبينى فأنت اليوم متبول والرأي عندك بعد الحزم مخبول

أستودع الله لبنى إذ تفارقني بالرغم مني وقول الشيخ مفعول

وقد أراني بلبنى حق مقتنعٍ والشمل مجتمعٌ والحبل موصول

وقال:

ألا ليت لبنى في خلاءٍ تزورني فأشكو إليها لوعتي ثم ترجع

صحا كل ذي لبٍ وكل متيم وقلبي بلبنى ما حييت مروع

فيامن لقلبٍ ما يفيق من الهوى ويامن لعينٍ بالصبابة تدمع

فلما طال على قيس ما به أشار قومه على أبيه بأن يزوجه امرأةً جميلة فلعله أن يسلو بها عن لبنى.

قالوا: فأمره بالمسير في أحياء العرب والنزول عليهم فلعل عينه أن تقع على امرأةٍ تعجبه. فأقسم عليه أبوه أن يفعل.

فسار حتى نزل في حيٍ من فزارة، فرأى جاريةً حسناء قد حسرت برقع خزٍ عن وجهها وهي كالبدر ليلة تمه، **فقال لها**:

ما اسمك يا جارية؟ قالت: لبنى. فسقط على وجهه مغشياً عليه فنضحت على وجهه ماء وارتاعت لما عراه، ثم قالت: إن لم يكن هذا قيس بن ذريح إنه لمجنون !فأفاق فنسبته فانتسب. فقالت: قد علمت أنك قيس، ولكن نشدتك بالله وبحق لبنى إلا أصبت من طعامنا.

وقدمت إليه طعاماً، فأصاب منه بإصبعه. وركب فأتى على أثره أخٌ لها كان غائباً، فلم يزل به حتى أجابه وعقد الصهر بينه وبينه على أخته المسماة لبنى.

ورجع إلى الفزاريين حتى أدخلت عليه زوجته، فلم يروه هش إليها ولا دنا منها ولا خاطبها بحرفٍ ولا نظر إليها. وأقام على ذلك أياماً كثيرة. ثم أعلمهم أنه يريد الخروج إلى قومه أياماً فأذنوا له في ذلك، فمضى لوجهه إلى المدينة. وكان له صديق من الأنصار بها؛ فأتاه فأعلمه الأنصاري أن خبر تزويجه بلغ لبنى فغمها وقالت:

إنه لغدار ! ولقد كنت أمتنع من إجابة قومي إلى التزويج فأنا الآن أجيبهم

ويقال: بل زوجها أبوها رجلاً من آل كثير بن الصلت الكندي .

قال الأصفهاني :

فجزع قيس جزعاً شديداً وجعل ينشج أحر نشيج ويبكي أحر بكاء. ثم ركب من فوره حتى أتى محلة قومها، **فناداه النساء:**

ما تصنع الآن ها هنا **!** قد نقلت لبنى إلى زوجها **!.** وجعل الفتيان يعارضونه بهذه المقالة وما أشبهها وهو لا يجيبهم حتى أتى موضع خبائها فنزل عن راحلته وجعل يتمعك في موضعها ويمرغ خده على ترابها ويبكي أحر بكاء. **ثم قال:**

إلى الله أشكو فقد لبنى كما شكا   إلى الله فقد الوالدين يتيم

يتيمٌ جفاه الأقربون فجسمه   نحيلٌ وعهد الوالدين قديم

بكت دارهم من نأيهم فتهللت   دموعي فاي الجازعين ألوم

أمستعبراً يبكي من الشوق والهوى   أم آخر يبكي شجوه ويهيم

قال: فبلغتها الأبيات، فجزعت جزعاً شديداً وبكت بكاء كثيراً. ثم خرجت إليه ليلاً على موعد فاعتذرت وقالت: إنما أبقي عليك وأخشى أن تقتل، فأنا أتحاماك لذلك، ولو هذا لما افترقنا. وودعته وانصرفت.

قال الأصفهاني:

ثم أتى قومه فاقتطع قطعةً من إبله وأعلم أباه أنه يريد المدينة ليبيعها ويمتار لأهله بثمنها. وأخذ إبله وقدم بها المدينة. فبينا هو يعرضها إذ ساومه زوج لبنى بناقة منها وهما لا يتعارفان، فباعه إياها.

فقال له: إذا كان غدٌ فأتني في كثير بن الصلت فاقبض الثمن؛ **قال**: نعم.

ومضى زوج لبنى إليها فقال لها: إني ابتعت ناقة من رجل من أهل البادية وهو يأتينا غداً ليقبض ثمنها، فأعدي له طعاماً، ففعلت.

فلما كان من الغد جاء قيس فصوت بالخادم: **قولي لسيدك**: صاحب الناقة بالباب. فعرفت لبنى نغمته فلم تقل شيئاً. فقال زوجها للخادم: قولي له: ادخل، فدخل فجلس. فقالت لبنى للخادم: قولي له:

يا فتى، مالي أراك أشعث أغبر؟ فقالت له ذلك. فتنفس ثم قال لها: هكذا تكون حال من فارق الأحبة واختار الموت على الحياة، وبكى. فقالت لها لبنى: قولي له: حدثنا حديثك.

فلما ابتدأ يحدث به كشفت الحجاب وقالت: حسبك ! قد عرفنا حديثك! وأسبلت الحجاب. فبهت ساعة لا يتكلم ثم انفجر باكياً ونهض فخرج. فناداه زوجها: ويحك ! ما قصتك؟ ارجع اقبض ثمن ناقتك، وإن شئت زدناك. فلم يكلمه وخرج فاغترز في رحله ومضى. وقالت لبنى لزوجها: ويحك ! هذا قيس بن ذريح. فما حملك على ما فعلت به؟

□

قال: ما عرفته. وجعل قيسٌ يبكي في طريقه ويندب نفسه ويوبخها على فعله.

وعاد إلى قومه بعد رؤيته إياها وقد أنكر نفسه وأسف ولحقه أمر عظيم؛ فأنكروه وسألوه عن حاله فلم يخبرهم، ومرض مرضاً شديداً أشرف منه على الموت. فدخل إليه أبوه ورجال قومه فكلموه وعاتبوه وناشدوه الله. فقال: ويحكم ! أتروني أمرضت نفسي أو وجدت لها سلوةً بعد اليأس فاخترت الهم والبلاء، أو لي في ذلك صنع ! هذا ما اختاره لي أبواي وقتلاني به. فجعل أبوه يبكي ويدعو به بالفرج والسلوة.

شهر أمر قيس بالمدينة وغنى في شعره الغريض ومعبد ومالك وذووهم، فلم يبق شريف ولا وضيع إلا سمع بذلك فأطربه وحزن لقيس مما به. وجاءها زوجها فأنبها على ذلك وعاتبها ثم طلقت منه وفاته:

بعد أن تطلقت لبنى من زوجها الذي خلفها بعد قيس لتعودإلى قيس ماتت فمات على إثرها فوراً

من شعره :

ألاحي لبنى اليوم إن كنت غاديا

ألاحي لبنى اليوم إن كنت غاديا	وألمِمْ بِها مِن قَبلِ أنْ لا تَلاقِيا

وَأهْدِ لها مِنْكَ النَّصْيحَةَ َ إنّها   قَليلٌ ولا تَخْشَ الوُشَاةَ الأدانيا

وقُلْ إنَّني والرَّاقصات إلى مِنى   بأجبُلِ جَمْعِ ينتظِرنَ المُناديا

أصُونكِ عن بعض الأمور مَضَنَّة   وأَخْشَى عليكِ الكاشِحِينَ الأعادِيا
ج

تَسَاقَطَ نَفْسِي حِينَ ألْقَاكِ أنْفُسا   يَرِدْنَ فما يَصدُرنَ إلاّ صوادِيا

فإنْ أحْيَ أوْ أهْلِكْ فَلَسْتُ بِزَائِلِلكم   حافِظاً ما بَلَّ رِيقي لسانِيا

أقُولُ إذا نَفْسِي مِنَ الوَجْدِ أصْعَدَت   بها زَفرَةٌ تَعتادُني هيَ ما هيا

وَبَيْنَ الحَشَا والنحْرِ مِنّي حَرَارَة   وَلَوْعَةُ وَجْدٍ تَتْرُكُ القَلْبَ ساهِيَا

ألاَ لَيْتَ لُبْنَى لم تَكُنْ لي خُلّة   ولم تَرَنِي لُبْنَى وَلَمْ أدْرِ ما هِيَا

سلي النّاسَ هَلْ خَبَّرْتُ سِرَّكِ منهم   أخا ثِقَةٍ أو ظاهر الغِشِّ باديا

وأخرُجُ من بين البيوتِ لَعَلّني   أَحَدِّثَ عنكِ النَّفسَ في السِّرِّ خاليا

يقول لي الواشون لَمَّا تظاهَروا   عَلَيْكِ وَأضْحَى الحَبْلُ لِلْبَيْنِ وَاهِيَا

لعمري لقَبل اليوم حُمِّلت ما تَرى   وأُنذِرتَ مِن لُبنى الذي كنتَ لاقِيا

خَلِيلَيَّ مالي قَدْ بَلِيتُ ولاَ أرَى   لُبنى على الهجرانِ إلاّ كما هيا

ألا يا غُرَابَ البَيْنِ ما لَكَ كُلَّما   ذكرتُ لُبينى طِرتَ لِي عَن شِماليا

أعِنْدَكَ عِلْمُ الغَيْبِ أم لَسْتَ مُخْبِرِي   عَنِ الحَيِّ إلاَّ بالذي قد بَدا ليا

فَلاَ حَمَلَتْ رِجْلاَكَ عُشّاً لِبَيْضَة   ولا زالَ عَظمٌ مِنْ جناحِكَ واهيا

جزِعْتُ عليها لو أرى لي مَجزعاً   وأفْنَيْتُ دَمْعَ العَيْنِ لو كَانَ فَانِيا

حَيَاتَكَ لا تُغْلَبْ عليها فإنَّهُ   كَفَى بالذي تَلْقَى لِنَفْسِكَ ناهِيَا

أشَوقاً وَلَمّا تَمْضِ لي غَيْرُ لَيْلَة   رُوَيْدَ الهوى حتّى يَغُبَّ لياليا

تَمُرُّ اللّيالي والشَّهُورُ ولا أرَى وَلُوعي بها يَزْدَادُ إلاّ تَمَادِيَا

وقَدْ يَجمَعُ اللهُ الشَّتِيتَيْنِ بَعدَما يَظَنَّان كُلَّ الظّنِّ أنْ لا تلاقيا

فَما عَن نوالٍ مِن لُبنى زيارتي ولا قِلّةُ الإلمام أن كُنتُ قاليا

ولَكِنَّها صَدَّتْ وحُمِّلْتُ مِنْ هوًى لها ما يَئُودُ الشَّامخاتِ الرَّواسيا

ويقول :

إلى اللهِ أشكو فَقدَ لُبنَى

إلى اللهِ أشكو فَقدَ لُبنَى كَمَا شَكَا إلى اللهِ فَقْدَ الوَالدَينِ يَتِيمُ

يَتِيمٌ جَفَاهُ الأقْرَبُونَ فَجِسْمُهُ نَحِيلٌ وَعَهْدُ الوَالِدَيْنِ قَدِيمُ

بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ نَأْيِهِمْ فَتَهَلّلَتْ دُمُوعِي فَأَيَّ الجَازِعَيْنِ أَلُومُ

أمُستَعْبِرٌ يَبكي مِنَ الشّوقِ والهوَى أَمَ آخَرَ يَبْكِي شَجْوَهُ وَيَهِيمُ؟

تَهَيَّضَني مِنْ حُبَّ لُبنى علائق وأصْنَافُ حُبٍّ هَوْلُهُنّ عَظِيمُ

وَمَنْ يَتَعَلّقْ حُبَّ لُبْنَى فُؤَادُهُ يَمُتْ أوْ يَعِشْ ما عَاشَ وهو كليمُ

فإني وإن أجمَعتُ عَنكِ تَجَلّداً عَلَى العَهدِ فيما بَيْنَنَا لَمُقيمُ

وإنَّ زَماننا شتَّتَ الشَّمْلَ بَينَنَا وَبَيْنَكُمُ فيه العِدَى لَمَشُومُ

أفي الحَقِّ هذا أنَّ قَلبَكِ فارِغٌ صَحِيحٌ وَقَلْبِي في هَوَاكِ سَقِيمُ

ويقول :

فإن يحجبوها، أو يَحُل دونَ وصلها

فإن يحجبوها، أو يَحُل دونَ وصلها مقالةُ واشٍ، أو وعيدُ أميرِ

فلم يمنعُوا عينيَّ من دائمِ البُكَا ولن يَملِكوا ما قد يَجُنّ ضَميري

إلى الله أشكو ما ألاقي من الهوى ومِن كُربٍ تعتادني وزَفيرِ

ومن كُرَبٍ للحبِّ في باطِنِ الحشا بأنعَمِ حَالَيْ غِبطَةٍ وسُرورِ

فما بَرِحَ الواشونَ، حتى بدت لنا بطون الهوى مقلوبةً بظُهُورِ

لقد كُنتِ حَسبَ النَّفسِ لو دامَ وَصلُنا ولكنّما الدنْيا مَتاعُ غُرور

سأبكي على نفسي بعينٍ غزيرة بُكاءَ حَزينٍ، في الوثاقِ، أسير

إذا عِبْتُها شَبَّهْتُها البَدْرَ طالِعاً

إذا عِبْتُها شَبَّهْتُها البَدْرَ طالِعاً وَحَسْبُكَ مِنْ عَيْبٍ لها شَبَهُ البَدْرِ

لقد فُضَّلتْ لُبْنَى على الناسِ مثلما على ألف شهرٍ فضِّلت ليلةُ القدرِ

إذا ما مَشَتْ شِبْراً مِنَ الأرْضِ أرْجَفَتْ مِنَ البُهْرِ حَتَّى ما تَزِيدُ على شِبْر

لها كفلٌ يرتجُّ منها إذا مَشَتْ ومَتْنٌ كَغُصنِ البان مُضطمِرُ الخَصْرِ

لقدْ عَذَّبْتَني يا حُبَّ لُبْنَى

لقدْ عَذّبْتَني يا حُبَّ لُبْنَى فَقَعْ إمّا بِمَوْتٍ أوْ حَيَاة

فإنَّ الموتَ أرَوَحُ مِنْ حياة تَدُومُ على التَّبَاعُدِ والشَّتَاتِ

وَقَالَ الأقْرَبُونَ: تَعَزَّ عَنْها .

فَقُلْتُ لَهُمْ: إذَنْ حَانَتْ وَفَاتي .

كعب بن زهير

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني. أبو المضرب. شاعر جاهلي، وهو من المخضرمين، ومن فحول الشعراء. من أهل نجد. أبوه زهير بن أبي سلمى، وأخوه بجير وابنه عقبة وحفيده العوّام .

لما ظهر الإسلام هجا النبي ﷺ وأقام يشبب بنساء المسلمين فأهدر النبي دمه، فجاء كعب مستأمنا واستشفع بأبي بكر فشفع له.

وأنشد النبي ﷺ لاميته المشهورة في مديح النبي ﷺ **والتي مطلعها**:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يجز مكبول

وفيها يقول:

نبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

فعفا عنه النبي ﷺ وألبسه بردته ، صارت بعد ذلك إلى الخلفاء يتوارثونها.

□

وقال أبو الفرج الأصفهاني في "الأغاني" :

أتى الحطيئة كعب بن زهير – وكان الحطيئة راوية زهير وآل زهير – **فقال له**:

يا كعب، قد علمت روايتي لكم أهل البيت وانقطاعي إليكم، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً بعدك! **فقال كعب** :

فمن للقوافي شانها من يحوكها   إذا ما ثوى كعب وفوز جرول

يقول فلا تعيا بشيء يقوله   ومن قائليها من يسيء ويعمل

كفيتك لا تلفى من الناس واحداً   تنخل منها مثل ما يتنخل

يثقفها حتى تلين متونها   فيقصر عنها كل ما يتمثل

عندما كان كعب ينشد قصيدته (بانت سعاد) أمام رسول الله ﷺ **ولما وصل إلى قوله**:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً   وما مواعيدها إلا الأباطيل

□

وعرقوب: رجل من الأوس .

فلما سمع المهاجرون بذلك قالوا: ما مدحنا من هجا الأنصار فأنكروا قوله، **وعوتب على ذلك فقال** :

من سره كرم الحياة فلا يزل   في مقنب من صالحي الأنصار

الباذلين نفوسهم لنبيهم   عند الهياج وسطوة الجبار

والناظرين بأعين محمرة   كالجمر غير كليلة الإبصار

والضاربين الناس عن أديانهم   بالمشرفي وبالقنا الخطار

يتطهرون يرونه نسكاً لهم   بدماء من علقوا من الكفار

صدموا الكتيبة يوم بدر صدمة   ذلت لوقعتها رقاب نزار

قال أبو زيد: الذي عناه كعب من الأوس كان وعد رجلاً ثمر نخلة، فلما أطلعت أتاه فقال: دعها حتى تلقح ، فلما لقحت قال: دعها حتى تزهي ، فلما أزهت أتاه **فقال**: دعها حتى ترطب، ثم أتاه فقال: دعها

حتى تتمر، فلما أتمرت عدا عليها ليلاً فجدها، فضرب به في الخلف المثل، **وذلك قول الشماخ**:

وواعدني ما لا أحاول نفعه   مواعيد عرقوب أخاه بيترب

وقال المتلمس لعمرو بن هند:

من كان خلف الوعد شيمته   والغدر عرقوب له مثل

وما قالته الشعراء في ذكر عرقوب يكثر.

وهذه القصيدة تحمل في طياتها مدحا للنبي ﷺ وصحبه وتحوي الكثير من المواعظ والحكم متأثراً بحكم القرآن وتبدو المعاني الإسلامية في شعره واضحة جلية ، فأكرمه النبي ﷺ وخلع عليه بردته .

قال الفاخوري حول البردة:

ما زالت البردة في أهله حتى اشتراها معاوية منهم، وتوارثها الخلفاء الأمويون فالعباسيون حتى آلت مع الخلافة إلى بني

□

عثمان **قال الهاشمي أيضا حول ما آلت إليه بردة النبي** :

بقيت في أهل بيته حتى باعوها لمعاوية بعشرين ألف درهم، ثم بيعت للمنصور العباسي بأربعين ألفاً.

ورث موهبة الشعر عن والده الشاعر الذي اجمع النقاد والأدباء على أنه من اعظم شعراء عصره، وكان عمر بن الخطاب لا يقدم شاعرا على زهير، وكان يقول: اشعر الناس الذي يقول: ومن ومن ومن، مشيرا بذلك إلى مجموعة من الحكم في معلقة زهير المشهورة بدأ كلا منها بكلمة" من " **مثل قوله**:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه   وإن يرق أسباب السماء بسلم

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله   عن قومه يستغن عنه ويذمم

أكد هذا ابن عبّاس إذ قال: خرجت مع عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في أول غزاة غزاها فقال لي: أنشدني لشاعر الشعراء قلت: "ومن هو يا أمير المؤمنين؟" قال: ابن أبي سلمى، قلت: وبم صار كذلك؟ **قال**:

" لا يتبع حوشي الكلام ولا يعاظل في المنطق، ولا يقول إلا ما يعرف ولا يمتدح أحداً إلا بما فيه".

وأيّد هذا الرأي كثرة بينهم عثمان بن عفان، وعبد الملك بن مروان وآخرون واتفقوا على أنّ زهيراً صاحب "أمدح بيت.وأصدق بيت.وأبين بيت".

فالأمدح قوله:

تراهُ إذا ما جئْتَه مُتَهَلِّلا   كأنَّك تُعطيه الذي أنتَ سائلُهْ

قوله:

ومهما تكنْ عند امرئٍ من خليقةٍ   وإنْ تَخْفى على الناس تُعْلَمِ

وأما ما هو أبين فقوله يرسم حدود الحق:

فإنّ الحقّ مقطعُه ثلاثٌ   يمينٌ أو نفارُ أو جلاءُ

قال بعضهم معلّقاً:

لو أن زهيراً نظر في رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري ما زاد على قوله المشار إليه، ولعلّ محمد بن سلاّم أحاط إحاطة حسنة بخصائص شاعرية زهير **حين قال**:

"من قدّم زهيراً احتجّ بأنه كان أحسنهم شعراً وأبعدهم من سخف، وأجمعهم لكثير من المعاني في قليل من الألفاظ، وأشدّهم مبالغة في المدح، وأكثرهم أمثالاً في شعره". وسنورد لاحقاً جملة أخرى في مثل هذه الخصائص التي تطالعنا بها أشعاره والتي تكشف عن أهمية شعره وقيمته.

وكانت ولادة زهير في بني غطفان. وبين هؤلاء القوم نشأ وترعرع. ومنهم تزوّج مرّتين. في الأولى تزوّج أم أوفى التي يذكرها في مطلع معلقته:

أمِن أمّ أوفى دمنةٌ لمْ تكلّم بحوْمانَةِ الدرّاج فالمتثلّم؟

وقد عمر زهير طويلا حتى بلغ مئة عام ، **وهو القائل** :

سئمتُ تكاليفَ الحياة، ومَنْ يعِش ثمانينَ حولاً لا أبا لكَ، يسأَمِ

ونشأ كعب في أحضان والده الشاعر ووسط أسرة تقرض جميعها الشعر.

- **والده**: زهير من فحول الشعراء .
- وخاله بشامة بن الغدير شاعر مشهور .
- **أخوه**: بجير شاعر مشهود له .

في هذا الجو الشعري تفتقت موهبة كعب ، وكانت دافعا له أن ينظم الشعر وهو صغير.

من قصائده :

بانت سعاد

بانَتْ سُعادُ فَقَلْبي اليَوْمَ مَتْبولُ	مُتَيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكْبولُ
وَمَا سُعَادُ غَداةَ البَيْن إِذْ رَحَلوا	إلاّ أغَنُّ غضيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ
هَيْفاءُ مُقْبِلَةً عَجْزاءُ مُدْبِرَةً	لا يُشْتَكى قِصَرٌ مِنها ولا طَولُ
تجلوعوارض ذي ظَلْمٍ إذا ابْتَسَمَتْ	كأنَّهُ مُنْهَلٌ بالرَّاحِ مَعْلُولُ
شُجَّتْ بِذي شَبَمٍ مِنْ ماءِ مَعْنِيةٍ	صافٍ بأبْطَحَ أضْحَى وهْو مَشْمولُ

تَنْفِي الرِّياحُ القذَى عَنْهُ وأفْرَطُهُ مِنْ صَوْبِ سارِيَةٍ بِيضٌ يَعالِيلُ

أكْرِمْ بِها خُلّةً لوْ أنَّها صَدَقَتْ مَوْعودَها أو ْلَوَ أنَ النَّصْحَ مَقْبولُ

لكِنَّها خُلّةٌ قَدْ سِيطَ مِنْ دَمِها فَجْعٌ ووَلَعٌ وإِخْلافٌ وتَبْديلُ

فما تَدومُ عَلَى حالٍ تكونُ بِها كَما تَلَوَّنُ في أثوابِها الغُولُ

ولا تَمَسَّكُ بالعَهْدِ الذي زَعَمَتْ إلاَّ كَما يُمْسِكُ الماءَ الغَرابِيلُ

فلا يَغُرَّنْكَ ما مَنَّتْ وما وَعَدَتْ إنَّ الأمانِيَّ والأحْلامَ تَضْليلُ

كانَتْ مواعيدُ عُرْقوبٍ لَها مَثَلا وما مَواعِيدُها إلاَّ الأباطيلُ

أرْجو وآملُ أنْ تَدْنو مَوَدَّتُها　　وما إِخالُ لَدَيْنا منْكِ تَنْويلُ

أمْسَتْ سُعادُ بِأرْضٍ لا يُبَلِّغُها　　إلاّ العِتاقُ النَّجيباتُ المَراسِيلُ

ولَنْ يُبَلِّغَها إلاّ غُذافِرَةٌ　　لها عَلَى الأيْنِ إرْقالٌ وتَبْغيلُ

تَرْمِي الغُيوبَ بِعَيْنَيْ مُفْرَدٍ لَهِقٍ　　إذا تَوَقَّدَتِ الحَزَّازُ والمِيلُ

تَسْعَى الوُشاةُ جَنابَيْها وقَوْلُهُمُ　　إنَّك يا ابْنَ أبي سُلْمَى لَمَقْتولُ

وقالَ كُلُّ خَليلٍ كُنْتُ آمُلُهُ　　لا أُلْهِيَنَّكَ إنِّي عَنْكَ مَشْغولُ

فَقلْتُ خَلّوا سَبيلِي لاَ أبالَكُمُ　　فَكُلُّ ما قَدَّرَ الرَّحْمنُ مَفْعولُ

كُلُّ ابْنِ أنْثَى وإنْ طالَتْ سَلامَتُهُ　　يَوْماً على آلَةٍ حَدْباءَ مَحْمولُ

أنْبِئْتُ أنَّ رَسُولَ اللهِ أوْعَدَني والعَفْوُ عَنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأمُولُ

وقَدْ أتَيْتُ رَسُولَ اللهِ مُعْتَذِراً والعُذْرُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَقْبولُ

مَهْلاً هَداكَ الذي أعْطاكَ نافِلَةَ الْقُرْآنِ فيها مَواعيظَ وتَفُصيلُ

لا تَأْخُذَنِّي بِأقْوالِ الوُشاة ولَمْ أذْنِبْ وقَدْ كَثَرَتْ فِيَّ الأقاويلُ

لَقَدْ أقومُ مَقاماً لو يَقومُ بِه أرَى وأسْمَعُ ما لم يَسْمَعِ الفيلُ

لَظَلَّ يِرْعُدُ إلاّ أنْ يكونَ لَهُ مِنَ الّرسُولِ بِإِذْنِ اللهِ تَنْويلُ

حَتَّى وَضَعْتُ يَميني لا أنازِعُهُ في كَفِّ ذِي نَغَماتٍ قِيلُهُ القِيلُ

لَذاكَ أهْيَبُ عِنْدي إذ أُكَلِّمُهُ وقيلَ إنَّكَ مَنْسوبٌ ومَسْئُولُ

مِنْ خادِرٍ مِنْ لُيوثِ الأسْدِ مَسْكَنُهُ مِنْ بَطْنِ عَثَّرَ غِيلٌ دونَهُ غيلُ

إنَّ الرَّسُولَ لَنورٌ يُسْتَضاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيوفِ اللهِ مَسْلُولُ

في فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قالَ قائِلُهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أسْلَمُوا زُولُوا

زالُوا فمَا زالَ أنْكاسٌ ولا كُشُفٌ عِنْدَ اللِّقاءِ ولا مِيلٌ مَعازيلُ

شُمُّ العَرانِينِ أبْطالٌ لُبوسُهُمْ مِنْ نَسْجِ دَأُوُدَ في الهَيْجَا سَرابيلُ

بِيضٌ سَوَابِغُ قد شُكَّتْ لَهَا حَلَقٌ كأنَّها حَلَقُ القَفْعاءِ مَجْدولُ

يَمْشونَ مَشْيَ الجِمالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ ... ضَرْبٌ إذا عَرَّدَ السُّودُ التَّنابِيلُ

لا يَفْرَحونَ إذا نَالتْ رِماحُهُمُ ... قَوْماً ولَيْسوا مَجازِيعاً إذا نِيلُوا

لا يَقَعُ الطَّعْنُ إلاَّ في نُحورِهِمُ ... وما لَهُمْ عَنْ حِياضِ الموتِ تَهْليلُ

ومن رائع شعره :

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني ... سعي الفتى وهو مخبوء له القدر

يسعى الفتى لأمور ليس يدركها ... والنفس واحدة والهم منتشر

والمرء ما عاش ممدود له أمل ... لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثر

ويقول كعب:

أعلم أني متى ما يأتني قدري فليس يحسبه شح ولا شفق

بينا الفتى معجب بالعيش مغتبط إذ الفتى للمنايا مسكم غلق

والمرء والمال ينمي ثم يذهبه مر الدهور ويفنيه فينسحق

فلا تخافي علينا الفقر وانتظري فضل الذي بالغنى من عنده نثق

إن يفن ما عندنا فالله يرزقنا ومن سوانا ولسنا نحن نرتزق

ويقول:

أَلاَ بَكَرتْ عِرْسِي تَلُوم وتَعْذُلُ

ألاَ بَكَرتْ عِرْسِي تَلُوم وتَعْذَلُ وغيرُ الذي قالتْ أعفُّ وأجملُ

ولما رأتْ رأسي تبدَّلَ لونهُ بياضاً عن اللونِ الذي كان أوّلُ

أرَنَّتْ من الشَّيْبِ العَجِيبِ الذي رأتْ وهل أَنتِ منِّي وَيْبَ غَيْرِكِ أَمْثَلُ

وقد أشهدُ الكأسَ الروّيةَ لاهياً أعلُّ قبيلَ الصبحِ منها وأنهلُ

إذا غلَبَتْه الكأسُ لا متعبَّسُ حصورٌ ولا من دونها يتبسَّلُ

وليس خَلِيلي بالمَلُولِ ولا الّذِي يلومُ على البخل البخيلَ ويبخلُ

لنا حاجة في صرحةِ الحيِّ بعدما بَدَا لهمُ أن يَظْعَنوا فتَحَمَّلوا

نشاوى نديمِ الكأسِ منا مرنَّحٌ وعِيسٌ مُنَاخاتٌ عليهنّ أرْحُلُ

وحَجْلٌ سَلِيمٌ قَدْ كشَفْنا جِلاَلَه وآخر في أنضاءِ مسحٍ مسربلُ

وصرماءَ مذكارٍ كأنّ دويَّها بيعدَ جنانِ اليل مما يخيلَ

حديثُ أناسيٍّ فلما سمعتهُ إذا ليسَ فيه ما أبِينُ فأعْقِلُ

قطَعْتُ يُمَاشِينِي بها متضائلٌ من الطّلْسِ أحياناً يَخُبُّ ويَعْسِلُ

يحبّ دُنوَّ الإنس منه وما بهِ إلى أحد يوماً من الإنس منزلُ

تقرَّبَ حتى قلتُ لم يدنُ هكذا من الإنس إلا جاهلٌ أو مضلّلُ

إذا ما عَوَى مُسْتقبِلَ الرِّيحِ جَاوبَتْ مَسَامِعُه فَاهُ على الزَّادِ مُعْوِلُ

كسوبٌ إلى أن شبّ من كسبِ واحدٍ محالفه الإقتارُ لا يتمَّولُ

كأنَّ دخانَ الرَّمثِ خالطَ لونهُ يُغلُّ به من باطنٍ ويجللُ

بصيرٌ بأدغال الضَّراءِ إذا خدى يَعِيلُ ويَخْفَى بالجَهَاد ويَمْثُلُ

تَرَاه سَمِيناً ما شَتَا وكأنه حميٌّ إذا ما صافَ أو هو أهزلُ

كان نساهُ شرعةٌ وكأنّه إذا ما تَمَطّى وجْهَةَ الرِّيحِ محْمَلُ

وحَمْشٌ بَصِيرٌ المُقْلَتيْن كأنّهُ إذا ما مشَى مُسْتكرِهَ الرِّيحِ أقْزَلُ

يكاد يَرَى مالا تَرَى عينُ واحدٍ يُثيرُ له ما غَيَّبَ التَّرْبُ مِعْوَلُ

مروان بن أبي حفصة

هو مروان بن سلمان بن يحيى بن أبي حفصة، كنيته أبو الهيندام أو أبو السمط، ولقبه ذو الكمر. شاعر عالي الطبقة، من شعراء صدر الإسلام .

ولد باليمامة من أسرة عريقة في قول الشعر سنة خمس ومئة من الهجرة ، وأدرك العصرين الأموي والعباسي، وقد وفد على المهدي

فمدحه ثم الهادي من بعده ثم إلى مديح هارون الرشيد ومدح البرامكة وزراء الرشيد.

كان جدّه أبو حفصة مولى لمروان بن الحكم أعتقه يوم الدار، وعلى كثرة ما أصابه من خلفاء بني العباس وعلى يساره، فقد كان بخيلاً بخلاً شديداً، ضربت به الأمثال ورويت عنه الحكايات.

وكان مروان بن أبي حفصة من أهل اليمامة ، فقدم بغداد ، ومدح المهدي والرشيد .

قال ابن المعتز : أجْود ما لَه : "اللامية" التي فُضِّل بها على شعراء زمانه في معن بن زائدة ، فأجازه عليها بمال عظيم .

دافع بشعره عن العباسيين ودعى إليهم واحتج على خصومهم وعارضهم.

وقد دفع ثمن تعصبه للعباسيين حياته، إذ اغتاله بعض المتطرفين من الشيعة العلويين ببغداد.

قال أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني:

"هو مروان بن أبي الجنوب بن مروان الأكبر بن أبي حفصة ويكنى مروان الأصغر أبا السمط، وكان يتشبه بجده في شعره، ويمدح المتوكل، ويتقرب إليه بهجاء آل أبي طالب، فتمكن منه وقرب إليه وكسب معه مالاً كثيراً، فلما أفضت الخلافة إلى المنتصر تجنب مذهب أبيه في كل أمر".

وفاته:

إن طمع الشاعر بالمال قاده إلى تناسي هواه الأموي وإلى الإغراق في مديح خلفاء بني العباس والمجاهرة بالدفاع عن حقهم في الخلافة ومعارضته العلويين بشدة دون أن يفطن إلى ما ستكون ردة فعلهم عليه:

لقد أحنق عليه العلويون وتربصوا به شراً سيما بعد قوله:

أنى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثة الأعمام ويذكر أن أحدهم ويدعى صالح بن عطية الأضجم قد عاهد الله على أن يقتل الشاعر انتقاماً منه لموقفه المعادي للعلويين .

وقد استطاع أن يوهم مروان بصداقته وظل يلازمه طوال وقته مبدياً له كل لطف ومحبة حتى مرض الشاعر من حمى ألمت له ،فزاد مودته له وملازمته إياه وذات يوم خلا به وأمسك بعنقه ولم يتركه حتى قضى عليه ثم انبرى يتباكى مع أهله عليه ولم يفطنوا إلى فعلته وكانت وفاته زمن الخليفة الرشيد سنة ١٨١هـ لما ورد عن إدريس بن سليمان بن أبي حفصة قوله:إن وفاة مروان كانت سنة ١٨١هـ .

من أشعاره:

طَرَقَتكَ زائِرَةً فَحَيِّ خَيالَها بَيضاءُ تُخلِطَ بِالحَياءِ دَلالَها

قادَت فُؤادَكَ فَاِستَقادَ وَمِثلُها   قادَ القُلوبَ إِلى الصِبا فَأَمالَها

وَكَأَنَّما طَرَقَت بِنَفحَةِ رَوضَةٍ   سَحَّت بِها دِيَمُ الرَبيعِ ظِلالَها

باتَت تُسائِلُ في المَنامِ مُعَرِّساً   بِالبيدِ أَشعَثَ لا يَمَلُّ سُؤالَها

في فِتيَةٍ هَجَعوا غِراراً بَعدَما   سئموا مُراعَشَةَ السُرى وَمِطالَها

فَكَأَنَّ حَشوَ ثِيابِهِم هِندِيَّةٌ   نَحَلَت وَأَغفَلَتِ العُيونُ صَقالَها

وَضَعوا الخُدودَ لَدى سَواهِمَ جُنَّحٍ   تَشكو كُلومَ صِفاحِها وَكَلالَها

طَلَبَت أَميرَ المُؤمِنينَ فَواصَلَت   بَعدَ السُرى بِغُدُوِّها آصالَها

نَزَعَت إِلَيكَ صَوادِياً فَتَقاذَفَت   تَطوي الفَلاةَ حُزونَها وَرِمالَها

يَتبَعنَ ناجِيَةً يَهُزَّ مِراحُها بَعدَ النُحولِ تَليلَها وَقَذالِها

هَوجاءَ تَدَّرِعُ الرُبا وَتَشُقُّها شَقَّ الشَموسِ إِذا تُراعُ جِلالَها

تَنجو إِذا رُفِعَ القَطيعُ كَما نَجَت خَرجاءُ بادَرَتِ الظَلامَ رِئالَها

كَالقَوسِ ساهِمَةٌ أَتَتكَ وَقَد تُرى كَالبُرجِ تَملأُ رَحلَها وَحِبالَها

أَحيا أَميرُ المُؤمِنينَ مُحَمَّدٌ سُنَنَ النَّبِيِّ حَرامَها وَحَلالَها

مَلِكٌ تَفَرَّعَ نَبعُهُ مِن هاشِمٍ مَدَّ الإِلهُ عَلى الأَنامِ ظِلالَها

جَبَلٌ لِأُمَّتِهِ تَلوذُ بِرُكنِهِ رادى جِبالَ عَدُوِّها فَأَزالَها

لَم تَغشَها مِمّا تَخافُ عَظيمَةٌ إِلّا أَجالَ لَها الأُمورَ مَجالَها

حَتّى يُفَرِّجها أغَرُّ مُبارَكٌ ألفى أباهُ مُفَرِّجاً أمثالَها

ثَبتٌ عَلى زَلَلِ الحَوادِثِ راكِبٌ مِن صَرفِهِنَّ لِكُلِّ حالٍ حالَها

كِلتا يَدَيكَ جَعَلتَ فَضلَ نَوالِها لِلمُسلِمينَ وفي العَدُوِّ وَبالَها

وَقَعَت مَواقِعها بِعَفوِكَ أنفُسٌ أذهَبتَ بَعدَ مَخافَةٍ أوجالَها

أمَّنتَ غَيرَ مُعاقِبٍ طَرّادَها وَفَكَكتَ مِن أسَرائِها أغلالَها

وَنَصَبتَ نَفسَكَ خَيرَ نَفسٍ دونَها وَجَعَلتَ مالَكَ واقِياً أموالَها

هَل تَعَمونَ خَليفَةً مِن قَبلِهِ أجرى لِغايَتِهِ الّتي أجرى لَها

طَلَع الدُروب مُشَمِّراً عَن ساقِهِ بِالخَيلِ مُنصَلِتاً يُجَدُّ نِعالَها

قُوداً تُريعُ إِلى أغَرَّ لِوَجهِهِ   نورٌ يُضيءُ أمامَها وَخِلالَها

قَصُرَت حَمائِلُهُ عَلَيهَ فَقَلّصَت   وَلَقد تَحَفَّظَ قَينُها فَأطالَها

حَتّى إِذا وَرَدَت أوائِلُ خَيلِهِ   جَيحانَ بَثّ عَلى العَدُوِّ رِعالَها

أحمى بِلادَ المُسلِمينَ عَلَيهِم   وَأباحَ سَهلَ بِلادِهِم وَجِبالَها

أدمَت دَوابِرَ خَيلِهِ وَشَكيمها   غاراتُهُنَّ وَألحَقَت آطالَها

لَم تُبقِ بَعدَ مَقادِها وَطِرادِها   إِلّا نَحائِرَها وَإِلّا آلَها

هَل تَطمِسونُ مِنَ السَماءِ نُجومَها   بِأَكُفِّكُم أَم تَستُرونُ هِلالَها؟

أم تَجحَدونَ مَقالَةً عَن رَبِّكُم   جبِريلُ بَلّغَها النَبِيَّ فَقالَها؟

شَهِدَت مِنَ الأنفالِ آخِرُ آيَةٍ بِتُراثِهِم فَأَرَدتُمُ إِبطالَها

فَذَروا الأسودَ خَوادِراً في غيلِها لا تولِغُنَّ دِماءَكُم أَشبالَها

رَقَع الخَليفَةُ ناظِرَيَّ وَراشَني بِيَدٍ مُبارَكَةٍ شَكَرتُ نَوالَها

وَحُسِدتُ حَتّى قيلَ أصبَحَ باغِياً في المَشيِ مُتَرَفَ شيمَة مُختالَها

وَلَقَد حَذَوتَ لِمَن أطاعَ وَمَن عَصى نَعلاً وَرِثتَ عَنِ النَبِيِّ مِثالَها

ومن قصائده :

نعم الغيث

لَعَمري لِنَعمَ الغَيثُ غَيثٌ أَصابَنا بِبَغدادَ مِن أَرضِ الجَزيرَةِ وَابِلُه

فَكُنّا كَحَيٍّ صَبَّحَ الغَيثُ أهلَهُ وَلَم تَرتَحِل أظعانُهُ وَرَواحِلُه

ويقول

لَندبكَ أحزانٌ وَسابِقُ عَبرَةٍ أثَرنَ دَماً مِن داخِلِ الجَوفِ مُنقَعا

تَجَرَّعتُها مِن بِعدِ مَعنٍ بِمَوتِهِ لَأعظَم مِنها ما اِحتَسى وَتَجَرَّعا

وَمِن عَجَبٍ أن بِتَّ بِالرُزءِ ثاوِياً وَبِتُّ بِما خَوَّلتَني متمَتِّعا

وَلَو أَنَّني أَنصَفتُكَ الوُدَّ لَم أَبِت خِلافَكَ حَتّى نَنطَوي في الرَدى مَعا

أَلِمّا بِمَعنٍ ثَمَّ قولا لِقَبرِهِ سَقَتكَ الغَوادي مَربَعاً بعدَ مَربَعا

فَيا قَبرَ مَعنٍ أَنتَ أَوَّلُ حُفرَةٍ مِنَ الأَرضِ خُطَّت لِلسَّماحَةِ مَضجَعا

وَيا قَبرَ مَعنٍ كَيفَ وارَيتَ جودَهُ وَقَد كانَ مِنهُ البَرُّ وَالبَحرُ مُترَعا

بَلى قَد وَسِعتَ الجودَ وَالجودُ مَيِّتٌ وَلَو كانَ حَيّاً ضِقتَ حَتّى تَصَدَّعا

وَلَمّا مَضى مَعنٌ مَضى الجودُ وَاِنقَضى وَأَصبَحَ عِرنينُ المَكارِمِ أَجدَعا

وَما كانَ إِلّا الجودَ صورَةُ وَجهِهِ فَعاشَ رَبيعاً ثُمَّ وَلّى وَوَدَّعا

وَكُنتَ لِدارِ الجودِ يا مَعنُ عامِراً وَقَد أصبَحَت قَفراً مِنَ الجودِ بَلقَعا

فَتىً عيشَ في مَعروفِهِ بَعدَ مَوتِهِ كَما كانَ بَعدَ السَيلِ مَجراهُ مَرتَعا

تَمَنّى أناس شَأوَهُ مِن ضَلالِهِم   فَأضحَوا عَلى الأذقانِ صَرعى وَظُلَّعا

تَعزَّ أبا العَبّاسِ عَنهُ وَلا يَكُن   عَزاؤُكَ مِن مَعنٍ بِأن تَتَضَعضَعا

وفي مدح معن بن زائدة يقول :

هاجَت هَواكَ بَواكِرُ الأظعانِ   يَومَ اللِوى فَظَلِلتَ ذا أحزانِ

لَولا رَجاؤُكَ ما تَخَطَّت ناقَتي   عَرضَ الدَبيلِ وَلا قُرى نَجرانِ

نِعمَ المُناخُ لِراغِبٍ وَلِراهِبٍ   مِمَّن تُصيبُ جَوائِحُ الأزمانِ

مَعنُ بنُ زائِدَةَ الّذي زيدَت بِهِ   شَرَفاً عَلى شَرَفٍ بَنو شَيبانِ

جَبَلٌ تَلودُ بِهِ نِزارٌ كُلّها   صَعبُ الذَرى مُتَمَنِّعُ الأركانِ

إن عُدُّ أيّامُ الفَعالِ فَإِنَّما   يَوماهُ يَومُ نَدىً وَيَومُ طِعانِ

تَمضي أسِنَّتُهُ وَيُسفِرُ وَجهُهُ   في الرَوعِ عِندَ تَغَيُّرِ الألوانِ

يَكسو الأسِرَّةَ والمَنابِرَ بَهجَةً   وَيَزينُها بِجَهارَةٍ وَبيانِ

كِلتا يَدَيكَ أبا الوَليدِ مَعَ النَدى   خُلِقَت لِقائِمِ مُنصُلٍ وَعِنانِ

جَلَبَ الجِيادَ مِنَ العَراقِ عَوابِساً   قُبَّ البُطونِ يُقَدنَ بِالأَرسانِ

جُرداً مُحَنَّبَةً تُعاضِدُ في السُرى   بِالبيدِ كُلَّ شِمِلَّةٍ مِذعانِ

مِن كُلِّ سَلهَبَةٍ يَبينُ بِنَحرِها   وَقعُ القَنا وَأَقَبَّ كَالسَرحانِ

حَتّى أغَرنَ بِحَضرَموتَ شَوازِباً   مُقوَرَّةً كَكَواسِرِ العِقبانِ

مَطَرٌ أبوكَ أبو الوَليدِ إذا عَلا   بِالسَيفِ حازَ هَجائِنَ النُعمانِ

نَفسي فِداءُ أبي الوَليدِ إذا عَلا   رَهَجُ السَنابِكِ وَالرِماحُ دَواني

ما زِلتَ يَومَ الهاشِمِيَّةِ مُعلِماً   بِالسَيفِ دونَ خَليفَةِ الرَحمانِ

فَمَنَعتَ حَوزَتَهُ وَكُنتَ وِقاءَهُ   مِن وَقعِ كُلِّ مُهَنَّدٍ وَسِنانِ

أنتَ الّذي تَرجو رَبيعَةُ سَيبَهُ   وَتُعِدُّهُ لِنُوائِبِ الحَدَثانِ

فُتَّ الّذينَ رَجَوا نَداكَ وَلَم يَنَل   أدنى بِنائكَ في المَكارِمِ باني

إنّي رَأيتُكَ بِالمَحامِدِ مُغرَماً   تَبتاعُها بِرَغائِبِ الأثمانِ

فَإِذا صَنَعتَ صَنيعَةً أتمَمتَها   وَرَبَيتَها بِفَوائِدِ الإحسانِ

ويقول في مدح النبي محمد ﷺ:

إِلى المُصطَفى المَهدِيِّ خاضَت رِكابُنا   دُجى اللَيلِ يَخبِطنَ السَريحِ المُخَدَّما

يَكونُ لَها نورُ الإِمامِ مُحَمَّدٍ   دَليلاً بِهِ تَسري إِذا اللَيلُ أظلَما

إِذا هُنَّ ألقَينَ الرِحالَ بِبابِهِ   حَطَطنَ بِهِ ثَقلاً وَأدرَكنَ مَغنَما

إِلى طاهِرِ الأخلاقِ ما نالَ مِن رِضاً   وَلا غَضَبٍ مالاً حَراماً وَلا دَما

نصيب بن رباح

هو نصيب بن رباح أبو الحجناء وأبو محجن.

شاعر فحل فصيح، جيد الكلام مقدم في المديح والنسيب والرثاء.

كان عبداً مملوكا لرجل من أهل وادي القرى، ثم أتى عبد العزيز بن مروان فمدحه ، فوصله واشترى ولاءه. ثم اتصل نصيب بعد ذلك بعبد الملك ثم بسليمان بن عبد الملك وبعمر بن عبد العزيز والياً على المدينة ثم خليفة.

قال أبو الفرج الأصفهاني في " الأغاني" :

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي قال:

كان نصيب من بليٍّ بن عمرو بن الحاف بن قضاعة. وكانت أمه أمةً سوداء، وقع عليها أبوه فحملت ثم مات، فباعه عمه أخو أبيه من عبد العزيز بن مروان .

ويقول :

نصيب بن رباح، كان مولى عبد العزيز بن مروان، وقيل كان لبعض العرب من بني كنانة ، فاشتراه عبد العزيز منهم، وقيل: بل كانوا أعتقوه، فاشترى عبد العزيز ولاءه منهم، وقيل: بل كاتب مواليه، فأدى عنه مكاتبته".

كان لنصيب بن رباح بنات سود من لونه امتنع عن تزويجهن للموالي ولم يتزوجهن العرب. فقيل له ما حال بناتك: فقال: صببت عليهن من جلدي فكسدن علي! قال الثعالبي: وصرن مثلاً للبنت يضن بها أبوها فلا يرضى من يخطبها ولا يرغب فيها من يرضاها إليه.

وجاء في معجم الأدباء لياقوت الحموي:

نصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان شاعر من فحول الشعراء الإسلاميين، كان عبدا لرجل من كنانة من أهل ودان، وكان فصيحاً مقدماً في النسيب والمديح مترفعا عن الهجاء كبير النفس عفيفا، قيل لم ينسب قط إلا بامرأته، وكان مقدماً عند الملوك يجيد مديحهم ومراثيهم، وفي سبب اتصاله بعبد العزيز بن مروان وفك رقبته من الرق روايات شتى منها: انه لما قال الشعر وهو شاب جعل ياتي مشيخة القبيلة وينشدهم فاجتمعوا إلى ملاه وقالوا: إن عبدك هذا قد نبغ بقول الشعر ونحن منه بين شرتين، إما أن يهجونا فيهتك أعراضنا أو يمدحنا فيشبب بنسائنا، وليس لنا في شيء من

الخلتين خيرة. فقال له ملاه: يانصيب، إنا بائعك لا محالة فاختر لنفسك، فسار إلى عبد العزيز بن مروان بمصر فدخل عليه **وانشده**:

لعبد العزيز على قومه ... وغيرهم منن غامره

فبابك أسهل أبوابهم ... ودارك مأهولة عامره

وكلبك أرأف بالزائرين ... من الأم بابنتها الزائره

وكفك حين ترى المعتفين ... أندى من الليلة الماطره

فمنك العطاء ومنا الثناء ... بكل محبرة سائره

فقال عبد العزيز:

أعطوه أعطوه فقال: – أصلحك الله – إني عبد ومثلي لا يأخذ الجوائز، قال فما شأنك؟ فاخبره بحاله فدعا الحاجب فقال:

اخرج به إلى باب الجامع فابلغ في قيمته فدعا المقومين فنادوا عليه، من يعطي لعبد أسود جلد؟ قال رجل هو علي بمائة دينار، فقال

نصيب قولوا على إني أبري القسِيّ وأريش السهام وأحتجن الأوتار فقال الرجل: هو على بمائتي دينار.

قال: قولوا عليّ إني أرعى الإبل وأمريها وأقضقضها وأصدرها وأوردها وأرعاها وأرعيها. قال رجل هو على بخمسمائة دينار.

قال نصيب قولوا على إني شاعر عربي لا يوطيء ولا يقوي ولا يساند. قال رجل هو على بألف دينار، فسار به الحاجب إلى عبد العزيز فأخبره بما تم فقال: ادفعوا إليه ألف دينار فقبضها وافتك بها رقبته، ولم يزل في جملة عبد العزيز حتى احتضر، فأوصى به سليمان بن عبد الملك خيرا فصيره في جملة سماره.

حكى أن نصيبا دخل على سليمان بن عبد الملك وعنده الفرزدق **فقال سليمان للفرزدق يا أبا فراس:** أنشدني وإنما أراد أن ينشده مديحاً فيه **فأنشده قوله يفتخر:**

وركب كأن الريح تطلب عندهم   لها ترة من جذبها بالعصائب

سروا يركبون الريح وهي تلفهم   إلى شعب الأكوار ذات الحقائب

إذا أبصروا ناراً يقولون ليتها   وقد خصرت أيديهم نارغالب

فتغير سليمان واربد لما ذكر الفرزدق غالبا وقال لنصيب: قم وانشد مولاك ويحك، فقام نصيب **وأنشده**:

أقول لركب صادرين لقيتهم قفاذات أوشال ومولاك قارب

قفوا خبروني عن سليمان إنني لمعروفه من أهل ودان طالب

فعاجوا وأثنوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وقالوا عهدناه وكل عشية بأبوابه من طالبي العرف راكب

هو البدر والناس الكوكب حوله ولا تشبه البدر المضيء الكواكب

فقال سليمان للفرزدق: كيف ترى شعره؟ فقال هو اشعر أهل جلدته.

قال سليمان: وأهل جلدتك، يا غلام أعط نصيبا خمسمائة دينار وللفرزدق نار أبيه، فخرج الفرزدق **وهو يقول**:

وخير الشعر أشرفه رجالاً وشر الشعر ما قال العبيد

وقال:

ليس السواد بناقصي مادام لي هذا اللسان إلى فؤاد ثابت

من كان ترفعه منابت أصله فبيوت أشعاري جعلن منابتي

كم بين أسود ناطق بيانه ماضي الجنان وبين أبيض صامت

إني ليحسدني الرفيع بناؤه من فضل ذاك وليس بي من شامت

وقال:

فإن أك حالكاً فالمسك أحوى وما لسواد جسمي من دواء

ولى كرم عن الفحشاء ناء كبعد الارض من جو السماء

ومثلي في رجالكم قليل ومثلك ليس يعدم في النساء

فإن ترضى فردي قول راض وإن تأبى فنحن على السواء

وقال:

ألا ليت شعري ما الذي تجدين بي غداً غربة النأي المفرق والبعد؟

لدي أم بكر حين تغترب النوى بنا ثم يخلو الكاشحون بها بعدي

أتصرمني عند الذين هم العدا فتشمتهم بي أم تدوم على العهد؟

وقال:

ألام على ليلى ولو أستطيعها وحرمة مابين البيئة والحجر

لملت على ليلى بنفسي ميلةً ولو كان في يوم المحلق والنحر

توفي بعد حياة فيها من البؤس والشقاء وصراع القدر شيء كثير

من شعره :

يقول معتذرا للخليفة هشام بن عبد الملك ، حين تأخر في زيارته **حين دعاه ذات مرة** :

حَلَفت بِمَن حجت قُرَيش لِبَيتِه   وَأَهدَت لَهُ بُدناً عَلَيها القَلائِد

لَئِن كُنت طالَت غيبَتي عَنكَ إِنَّنـي   بِمَبلَغ حَولي في رِضاكَ لجاهِد

وَلكِنَّني قَد طالَ سَقمي وَاِكثَرتُ   عَلَيَّ العِهادَ المشفِقات العَوائِد

صَريعُ فِراشٍ لا يَزَلنَ يقلن لي   بِنُصح وإشفاق مَتى أنت قاعِد

فَلَمّا زَجَرت العيس أسرت بِحاجَتي   إِلَيكَ وَذلت لِلسان القَصائِد

وَإِنّي فَلا تَستَبطني بِمَوَدَّتي وَنُصحي وإشفاقي إِلَيكَ لَعامِد

فَلا تُقصِني حَتّى أكون بِصرعَة فَيَيأسَ ذو قُربى وَيَشمتُ حاسِدُ

أنلني وَقرّبني فَإِنّي بالِغ رِضاكَ بِعَفو من نِداكَ وَزائِد

أبت نائِماً أما فُؤادي فَهمه قَليلُ وأما مَس جِلدي فَبارِد

إِلَيكَ رَحَلت العيس حَتّى كَأَنَّها قِسيٌّ السُرى ذبلى برتها الطَرائِد

وَحَتّى دَنَت ذاتِ المِراحِ فأذعنت إِلَيكَ وَكلَّ الراسِماتُ الحَوافِد

ويقول:

وإن وراء ظهري يا ابن ليلى

وَإن وَراءَ ظَهري يا اِبن لَيلى		أناساً يَنظَرونَ مَتى أؤوب
تَرَكت بِلادَها وَنَأيت عَنها		فأشبه ما رَأيت بها السَلوب
فَاِتبِع بَعضَنا بَعضاً فَلَسنا		نثيبك لكِن اللهَ المُثيب

ويقول :

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب

بزينَب المم قَبل أن يَرحَل الرَكب	وَقُل إن تَمَلّينا فَما مَلَك القَلب
وَقُل إن قُرب الدار يَطلُبُه العدى	قَديماً وَنَأى الدار يَطلُبُه القرب
وَقُل إن نَنَل بِالود مِنكَ مَحَبَّة	فَلا مِثل ما لاقيتُ من حُبِّكُم حُب
وَقُل في تَجنيها لَكَ الذَنبُ إنما	عتابُك من عاتَبت فيما لَهُ عَتب

فَمن شاءَ رامَ الوَصل أو قالَ ظالِماً لذي وُدِّهِ ذَنب وَلَيسَ لهُ ذَنب

خَليلي من كَعب ألما هَديتما بِزينَب لا تَفقِدكُما أبدا كَعب

من اليَوم زوراها فان ركابنا غداة غدٍ عَنها دَعا أهلها نُكب

وَقولا لَها يا أم عُثمان خُلتي أسلم لَنا في حُبِّنا أنت أم حرب

وَقولا لها ما في البعاد لِذي الهَوى بعاد وَما فيهِ لصدع النَوى شَعب

وَقال رِجال حسبه من طلابِها فَقُلتُ كَذَبتُم لَيسَ لي دونِها حَسب

ومن شعره :

روي أن نصيباً دخل على عبد الملك بن مروان، **فقال له**:

أنشدني بعض ما رثيت به أخي؛ **فأنشده قوله**:

عرفت وجربت الأمور فما أرى كماضٍ تلاه الغابر المتأخر

ولكن أهل الفضل من أهل نعمتي يمرون أسلافاً أمامي وأغبر

فإن أبكه أعذر وإن أغلب الأسى بصبرٍ فمثلي عندما اشتد يصبر

وكانت ركابي كلما شئت تنتحي إليك فتقضي نحبها وهي ضمر

ترى الورد يسراً والثواء غنيمةً لديك وتثنى بالرضا حين تصدر

فقد عريت بعد ابن ليلى فإنما ذراها لمن لاقت من الناس منظر

ولو كان حيا لم يزل بدفوفها مرادٌ لغربان الطريق ومنقر

فإن كن قد نلن ابن ليلى فإنه هو المصطفى من أهله المتخير

فلما سمع عبد الملك قوله:

فإن أبكه أعذر وإن أغلب الأسى		بصبرٍ فمثلي عندما اشتد يصبر

كعب بن مالك

كعب بن مالك من قبيلة الخزرج ولد في الجاهلية ونشا فيها مسقط رأسه يثرب أو المدينة المنورة أو هكذا سميت بعد الهجرة إذ تنورت برسول الله ﷺ بعد هجرته إليها وفيها نشا وترعرع واسلم مع قومه وحسن إسلامه واستماله الرسول الكريم صلوات الله عليه وسلامه إليه وقربه منه وجعله من شعرائه المقربين فافتخر بالإسلام وبالحبيب المصطفى بالمسلمين ومعاركهم وانتصاراتهم وأكثر في مدح الرسول الكريم ورثى قتلى المسلمين وشهدائهم وهجا أهل الشرك والرد على شعرائهم وكان حافظا للحديث الشريف حتى عد من رواته من جيد شعره في رثاء الحمزة عم النبي ﷺ **هذه الأبيات** :

من شعره :

طرقت همومك فالرقاد مسهد

طرقت همومك فالرقاد مسهد   وجزعت أن سلخ الشباب الأغيد

ودعت فؤادك للهوى ضمرية   فهواك غوري وصحوك منجد

فدع التمادي في الغواية سادرا   قد كنت في طلب الغواية تفند

ولقد أتى لك أن تناهى طائعا   أو تستفيق إذا نهاك المرشد

ولقد هددت لفقد حمزة هدة   ظلت بنات الجوف منها ترعد

ولو أنه فجعت حراء بمثله   لرأيت رأسي صخرها يتبدد

قرم تمكن في ذؤابة هاشم   حيث النبوة والندى والسودد

والعاقر الكوم الجلاد إذا غدت   ريح يكاد الماء منها يجمد

والتارك القرن الكمي مجدلا يوم الكريهة والقنا يتقصد

وتراه يرفل في الحديد كأنه ذو لبدة شثن البراثن أربد

عم النبي محمد وصفيه ورد الحمام فطاب ذاك المورد

وأتى المنية معلما في أسرة نصروا النبي ومنهم المستشهد

ولقد إخال بذاك هندا بشرت لتميت داخل غصة لا تبرد

مما صبحنا بالعقنقل قومها يوما تغيب فيه عنها الأسعد

وببئر بدر إذ يرد وجوههم جبريل تحت لوائنا ومحمد

حتى رأيت لدى النبي سراتهم قسمين يقتل من نشاء ويطرد

فأقام بالعطن المعطن منهم سبعون عتبة منهم والأسود

وابن المغيرة قد ضربنا ضربة فوق الوريد لها رشاش مزيد

وأمية الجمحي قوم ميله عضب بأيدي المؤمنين مهند

فأتاك فل المشركين كأنهم والخيل تثفنهم نعام شرد

شتان من هو في جهنم ثاويا أبدا ومن هو في الجنان مخلد

الشاعر أبو ذؤيب الهذلي

ولد أبو ذؤيب الهذلي في الجاهلية ونشا وشب وقال الشعر فيها وقد أدرك الإسلام واسلم جاهد لبة ذؤيب الهذلي مع المسلمين وكان شجاعا فارسا سافر إلى شمالي أفريقيا مع عبد الله بن أبي سرح القائد العربي مجاهدا ولما وصلوا إلى مصر فتك الطاعون – وكان منتشرا فيها – بأولاده الخمسة فآماتهم عايش أبو ذؤيب الهذلي ثلاثة عصور الجاهلي والإسلامي والأموي .

اشتد حزنه على أولاده فأثر ذلك في نفسيته وقوته فرثاهم كثيرًا **وقال فيهم**:

أمن المنون وريبها تتوجع؟ والدهر ليس بمعتبٍ من يجزعُ

قالت أمامة ما لجسمك شاحبا منذ ابتذلت و مثل مالك ينفعُ

أم ما لجنبك لا يلائم مضجعا إلا أقض عليك ذاك المضجعُ

فأجبتها أن ما لجسمي أنه أودى بني من البلاد فودعوا

أودى بني فأعقبوني حسرةً بعد الرقاد وعبرة لا تقلعُ

ولقد أرى إن البكاء سفاهةً و لسوف يولع بالبكاء من يفجعُ

وليأتين عليك يوم مرةً يبكى عليك معنفاً لا تسمعُ

سبقوا هواي وأعتقوا لهواهم فتحزموا ولكل جنبٍ مصرعُ

فغبرت بعدهم بعيشٍ ناصبٍ و أخال إني لاحق مستتبعُ

ولقد حرصت بأن أدافع عنهم فإذا المنية أقبلت لا تدفع

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمةٍ لا تنفع

فالعين بعدهم كأن حداقها سملت بشوك فهي عور تدمع

و تجلدي للشامتين أريهمُ إني لريب الدهر لا أتضعضع

حتى كأني للحوداث مروةٌ بصفا المشرق كل يوم تقرع

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنعُ

المخبل السعدي

جعفر، بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

التميمي ثم السعدي ثم القريعي، بضم القاف. شاعر مشهور، عمر في الجاهلية والإسلام عمرا طويلا، ومات في خلافة عمر أو عثمان وهو شيخ كبير (المخبل) بفتح الباء المشددة، أصله من أصيب بالخبل وهو استرخاء المفاصل من ضعف أو جنون. وهذا لقب له، وكنيته أبو يزيد، **واسمه**:

ربيع بن مالك بن ربيعة بن قتال بتشديد التاء بن أنف الناقة .

من شعره :

ذَكَرالرَّبابَ وذِكْرُها سُقْمُ فَصَبَا، ولَيْسَ لِمَنْ صَبا حِلْمُ

وإِذا أَلَمَّ خَيالُها طَرِفَتْ عَيني، فماءُ شُؤُونِها سَجْمُ

كاللُّؤلُؤِ المسْجُورِ أَغْفِلَ في سِلْكِ النِّظَام فَخانهُ النَّظْمُ

وأرَى لها دَاراً بأَغْدِرَةِ السِّيدَانِ لم يَدْرُسْ لها رَسْمُ

إِلاَّ رَماداً هامِداً دَفَعتْ عنهُ الرِّياحَ خَوَالِدٌ سُحْمُ

وَبقِيَّةَ النَّؤْيِ الذي رُفِعَتْ أَعْضَادُهُ فَثَوى لهُ جِذْمُ

فكأَنَّ ما أَبقَى البَوارِحُ والأمطارُ من عَرَصاتِها الوَشْمُ

تَقْرُو بِها البقَرُ المَسَارِبَ واختَلَطَتْ بها الآرَامُ والأَدْمُ

وكأنَّ أطْلاَءَ الجَآذِرِ والغِزْلاَنِ حَوْلَ رُسُومها البَهْمُ

ولقد تَحُلُّ بها الرَّبابُ لها سَلَفٌ يَفُلُّ عَدُوَّها فَخْمُ

بَرْدِيَّةٌ سَبَقَ النَّعِيمُ بها أقْرَانَهَا وغَلاَ بِها عَظْمُ

وتُرِيكَ وَجْهاً كالصَّحيفَةِ لاَ ظَمْآنُ مُخْتلَجٌ ولا جَهْمُ

كَعَقِيلَةِ الدُّرِّ اسْتَضَاءَ بِها مِحْرَابَ عَرْشِ عَزِيزِها العُجْمُ

أغْلَى بها ثَمناً، وجاءَ بِها شَخْتُ العِظَامِ كأَنَّهُ سَهْمُ

بِلَبَانِهِ زَيْتٌ، وأخْرَجَها مِن ذِي غَوَارِبَ وَسْطَهُ اللّخْمُ

أوْ بَيْضَةِ الدِّعْصِ التي وُضِعَتْ في الأَرضِ، ليس لِمَسِّها حَجْمُ

سَبَقَتْ قَرَائِنَهَا وأدْفَأهَا قَرِدُ الجَناح كأنَّهُ هِدْمُ

ويَضُمُّها دُونَ الجَناحِ بِدَفِّهِ وتَحُفُّهُنَّ قَوَادِمٌ قُتمُ

لم تَعْتذِرْ منها مَدَافِعُ ذِي ضالٍ وَلاَ عُقَبٌ ولا الزَّخْمُ

وتُضِلُّ مِدْرَاها المَوَاشِطَ في جَعْدٍ أغَمَّ كأنَّهُ كَرْمُ

هَلاَّ تُسَلِّي حاجَةً عَلِقَتْ عَلَقَ القَرِينَةِ حَبْلُها جِذْمُ

ومُعَبَّدٍ قَلِقِ المَجَازِ كَبا رِيِّ الصَّنَاعِ إكامُهُ دُرْمُ

لِلقارِبَاتِ مِنَ القَطَا نُقَرٌ في حافَتَيْهِ كأنَّها الرَّقْمُ

عارَضْتُهُ مَلَثَ الظَّلاَمِ بِمذْ عَانِ العَشِيِّ كأنَّها قَرْمُ

تَذَرُ الْحَصَى فِلَقاً إِذا عَصَفَتْ وجَرَى بِحَدِّ سَرابِها الأَكْمُ

قَلِقَتْ إِذَا انْحدَرَ الطّرِيقُ لها قَلَقَ المَحَالَةِ ضَمَّها الدَّعْمُ

لَحِقَتْ لَهَا عَجْزٌ مُؤَيَّدَةٌ عَقْدَ الفَقَارِ وكاهِلٌ ضَخْمُ

وقَوائمٌ عُوجٌ كأَغْمِدَةِ البُنْيانِ عُولِيَ فَوْقَها اللّحْمُ

وإِذا رَفَعْتَ السَّوْطَ أَفْزَعَها تحتَ الضُّلوعِ مُرَوَّعٌ شَهْمُ

وتسُدُّ حاذَيْها بِذِي خُصَلٍ عُقِمَتْ فَنَاعَمَ نَبْتَهُ العُقْمُ

ولهَا مَنَاسِمُ كالمَواقِعِ لا مُعْرٌ أشاعِرُها ولا دُرْمُ

وتَقِيلُ في ظِلِّ الخِبَاءِ كما يغْشَى كِنَاسَ الضَّالَةِ الرِّئْمُ

كتَرِيكَةِ السَّيْلِ التي تُرِكَتْ بِشَفَا المَسِيلِ ودُونَها الرَّضْمُ

بَلَّيْتُها حتَّى أَوَدِّيَهَا رِمَّ العِظَام ويَذْهَبَ اللَّحْمُ

وتقولُ عاذِلَتِي وليسَ لها بغَدٍ ولا ما بَعْدَهُ عِلْمُ

إِنَّ الثَّراءَ هُوَ الخُلُودُ وإنَّ المَرْءُ يُكْرَبُ يَوْمهُ العُدْمُ

إِنِّي وجَدِّكِ ما تُخَلِّدُني مائةٌ يَطِيرُ عِفَاؤُها، أَدْم

ولَئِنْ بَنَيْتِ لِيَ المُشَقَّرَ في هَضْبٍ تُقصِّرُ دُونَهُ العُصْمُ

لَتُنَقِّبَنْ عَنِّي المنِيَّةُ إنَّ الله ليسَ كَحُكْمِهِ حُكْمُ

إِنِّي وَجَدْتُ الأمْرَ أَرْشَدُهُ تَقْوَى الإلهِ وشَرُّهُ الإِثْمُ

عبد الله بن الزبعرى

عبد اللّه بن الزبعرى بن عدي بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي ، أبو سعيد.

شاعر قريش في الجاهلية ، كان يحارب المسلمين في شعرة حتى فُتحت مكة، فهرب إلى نجران، ثم عاد إلى مكة، واعتذر للنبي محمد ومدحه، فأمر له بحلّة.

قال حين أسلم :

منع الرقاد بلابل وهمومُ — والليل معتلج الرواق بهيمُ

مما أتاني أن أحمد لامني — فيه فبت كأنني محمومُ

يا خير من حملت على أوصالها — عيرانة سرح اليدين غشومُ

إني لمعتذر إليك من الذي أسديت إذ أنا في الضلال أهيمُ

أيام تأمرني بأغوى خطة سهم وتأمرني بها مخزوم

وأمد أسباب الردى ويقودني أمر الغواة وأمرهم مشؤومُ

فاليومُ آمن بالنبي محمد قلبي ومُخطئ هذه محرومُ

مضت العداوة وانقضت أسبابها ودعت أواصر بيننا وحلومُ

فاغفر فدى لك والداي كلاهما زللي فإنك راحم مرحومُ

وعليك من علم المليك علامة نور أغر وخاتم مختومُ

أعطاك بعد محبة برهانه   شرفا وبرهان الإله عظيمُ

ولقد شهدت بأن دينك صادق   حق وأنك في العباد جسيمُ

والله يشهد أن أحمد مصطفى   مستقبل في الصالحين كريمُ

قرم علا بنيانه من هاشم   فرع تمكن في الذرا وأرومُ

مختارات من الشعر

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب

الكميت الأسدي

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب

ولا لعبا مني وذو الشوق يلعب

ولم يلهني دار ولا رسم منزل

ولم يتطربني بنان مخضب

ولا أنا ممن يزجر الطير همه

أصاح غراب أم تعرض ثعلب

ولا السانحات البارحات عشية

أمر سليم القرن أم مر أعضب

ولكن إلى أهل الفضائل والنهى

وخير بني حواء والخير يطلب

إلى النفر البيض الذين بحبهم

إلى الله فيما نالني أتقرب

بني هاشم رهط النبي فإنني

بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب

خفضت لهم مني جناحي مودة

إلى كنف عطفاه أهل ومرحب

وكنت لهم من هؤلاك وهؤلا

مجنا على أني أذم وأقصب

وأرمى وأرمي بالعداوة أهلها

وإني لأوذى فيهم وأونب

فما ساءني قول امرئ ذي عداوة

بعوراء فيهم يجتديني فأجذب

فقل للذي في ظل عمياء جونة

ترى الجور عدلا أين لا أين تذهب

بأي كتاب أم بأية سنة

ترى حبهم عارا علي وتحسب

أأسلم ما تأتي به من عداوة

وبغض لهم لا جير بل هو أشجب؟

ستقرع منها سن خزيان ناد

إذا اليوم ضم الناكثين العصبصب

فمالي إلا آل أحمد شيعة

ومالي إلا مشعب الحق مشعب

ومن غيرهم أرضى لنفسي شيعة

ومن بعدهم لا من أجل وأرجب

أريب رجالا منهم وتريبني

خلائق مما أحد ثوهن أريب

إليكم ذوي آل النبي تطلعت

نوازع من قلبي ظماء وألبب

فإني عن الأمر الذي تكرهونه

بقولي وفعلي ما استطعت لأجنب

يشيرون بالأيدي إلي وقولهم

ألا خاب هذا والمشيرون أخيب

فطائفة قد كفرتني بحبكم

وطائفة قالوا مسيء ومذنب

فما ساءني تكفير هاتيك منهم

ولا عيب هاتيك اللتي هي أعيب

يعيبونني من خبهم وضلالهم

على حبكم بل يسخرون وأعجب

وقالوا ترابي هواه ورأيه

بذلك أدعى فيهم وألقب

وأحمل أحقاد الأقارب فيكم

وينصب لي في الأبعدين فأنصب

بخاتمكم غصبا تجوز أمورهم

فلم أر غصبا مثله يتغصب

وجدنا لكم في آل حاميم آية

تأولها منا تقي ومعرب

وفي غيرها آيا وآيا تتابع

لكم نصب فيها لذي الشك منصب

بحقكم أمست قريش تقودنا

وبالفذ منها والرديفين نركب

إذا اتضعونا كارهين لبيعة

أناخوا لأخرى والأزمة تجذب

لينتتجوها فتنة بعد فتنة

فيفتصلوا أفلاءها ثم يركبوا

أقاربنا الأدنون منكم لعلة

وساستنا منهم ضباع وأذوب

لنا قائد منهم عنيف وسائق

يقحمنا تلك الجراثيم متعب

وقالوا ورثناها أبانا وأمنا

وما ورثتهم ذاك أم ولا أب

يرون لهم حقا على الناس واجبا

سفاها وحق الهاشميين أوجب

ولكن مواريث ابن آمنة الذي

به دان شرقي لكم ومغرب

فدى لك موروثا أبي وأبو أبي

ونفسي ونفسي بعد بالناس أطيب

بك اجتمعت أنسابنا بعد فرقة

فنحن بنو الإسلام ندعى وننسب

حياتك كانت مجدنا وسنائنا

وموتك جدع للعرانين موعب

وأنت أمين الله في الناس كلهم

ونعتب لو كنا على الحق نعتب

فبوركت مولودا وبوركت ناشئا

وبوركت عند الشيب إذ أنت أشيب

وبورك قبر أنت فيه وبوركت

به وله أهل لذلك يثرب

لقد غيبوا برا وصدقا ونائلا

عشية واراك الصفيح المنصب

يقولون لم يورث ولولا تراثه

لقد شركت فيه بكيل وأرحب

وعك ولخم والسكون وحمير

وكندة والحيان بكر وتغلب

ولا نتشلت عضوين منها يحابر

وكان لعبد القيس عضو مؤرب

ولا نتقلت من خندف في سواهم

ولا قتدحت قيس بها ثم أثقبوا

ولا كانت الأنصار فيها أدلة

ولا غيبا عنها إذا الناس غيب

هم شهدوا بدرا وخيبر بعدها

ويوم حنين والدماء تصبب

وهم رائموها غير ظئر وأشبلوا

عليها بأطراف القنا وتحدبوا

فإن هي لم تصلح لقوم سواهم

فإن ذوي القربى أحق وأقرب

وإلا فقولوا غيرها تتعرفوا

نواصيها تردي بنا وهي شزب

وشاط على أرماحنا بادعائها

وتحويلها عنكم شبيب وقعنب

نقتلهم جيلا فجيلا نراهم

شعائر قربان بهم يتقرب

لعل عزيزا آمنا سوف يبتلى

وذا سلب منهم أنيق سيسلب

إذا أنتجوا الحرب العوان حوارها

وحن شريج بالمنابا وتنضب

فإن كان منكم كان مروان وابنه

وعمرو ومنكم هاشم وحبيب

فمنا حصين والبطين وقعنب

ومنا أمير المؤمنين شبيب

فيالك أما قد أشتت أموره

ودنيا أرى أسبابها تتقضب

يروضون دين الحق صعبا مخرما

بأفواههم والرائض الدين أصعب

إذا شرعوا يوما على الغي فتنة

طريقهم فيها عن الحق أنكب

رضوا بخلاف المهتدين وفيهم

مخبأة أخرى تصان وتحجب

وإن زوجوا أمرين جورا وبدعة

أناخوا لأخرى ذات ودقين تخطب

الحوا ولجوا في بعاد وبغضة

فقد نشبوا في حبل غي وانشبوا

تفرقت الدنيا بهم وتعرضت

لهم بالنطاف الآجنات فأشربوا

حنانيك رب الناس من أن يغربي

كما غرهم شرب الحياة المنضب

إذا قيل هذا الحق لا ميل دونه

فأنقاضهم في الحي حسرى ولغب

وإن عرضت دون الضلالة حومة

أخاضوا إليها طائعين وأو ثبوا

وقد درسوا القرآن وافتلجوا به

فكلهم راض به متحزب

فمن أين أو أنى وكيف ضلالهم

هدى والهوى شتى بهم متشعب؟

فيا موقدا نارا لغيرك ضوءها

ويا حاطبا في غير حبلك تحطب

ألم ترني من حب آل محمد

أروح وأغدو خائفا أترقب

كأني جان محدث وكأنما

بهم اتقى من خشية الغار أجرب

على أي جرم أم بأية سيرة

أعنف في تقريظهم وأؤنب

أناس بهم عزت قريش فأصبحوا

وفيهم خباء المكرمات المطنب

إذا ما المراضيع الخماص تأوهت

من البرد إذ مثلان سعد وعقرب

وحاردت النكد الجلاد ولم يكن

لعقبة قدر المستعيرين معقب

وبات وليد الحي طيان ساغبا

وكاعبهم ذات العفاوة أسغب

إذا نشأت منهم بأرض سحابة

فلا النبت محظور ولا البرق خلب

وإن هاج نبت العلم في الناس لم تزل

لهم تلعة خضراء منه ومذنب

إذا ادلمست ظلماء أمرين حندس

فبدر لهم فيها مضيء وكوكب

لهم رتب فضل على الناس كلهم

فضائل يستعلي بها المترتب

مساميح منهم قائلون وفاعل

وسباق غايات إلى الخير مسهب

أو لاك نبي الله منهم وجعفر

وحمزة ليث الفيلقين المجرب

هم ما هم وترا وشفعا لقومهم

لفقدانهم ما يعذر المتحوب

محاسن من دنيا ودين كأنما

بها حلقت بالأمس عنقاء مغرب

فنعم طبيب الداء من أمر أمة

تواكلها ذو الطب والمتطبب

ونعم ولي الأمر بعد وليه

ومنتجع التقوى ونعم المؤدب

سقى جرع الموت ابن عثمان بعدما

تعاورها منه وليد ومرحب

وشيبة قد أثوى ببدر ينوشه

غداف من الشهب القشاعم أهدب

له سترتا بسط فكف بهذه

يكف وبالأخرى العوالي تخضب

وفي حسن كانت مصادق لاسمه

رئآب لصدعيه المهيمن يرأب

وحزم وجود في عفاف ونائل

إلى منصب ما مثله كان منصب

ومن أكبر الأحداث كانت مصيبة

علينا قتيل الأدعياء الملحب

قتيل بجنب الطف من آل هاشم

فيا لك لحما ليس عنه مذبب

ومنعفر الخدين من آل هاشم

ألا حبذا ذاك الجبين المترب

ولن أعزل العباس صنو نبينا

وصنوانه ممن أعد وأندب

ولا ابنيه عبدالله والفضل أنني

جنيب بحب الهاشميين مصحب

ولا صاحب الخيف الطريد محمدا

ولو أكثر الإيعاد لي والترهب

مضوا سلفا لا بد أن مصيرنا

إليهم فغاد نحوهم متأوت

كذاك المنايا لا وضيعا رأيتها

تخطى ولاذا هيبة تتهيب

وقد غادروا فينا مصابيح أنجما

لنا ثقة أيان نخشى ونرهب

أولئك إن شطت بهم غربة النوى

أماني نفسي والهوى حيث يسقب

فهل تبلغنيهم على بعد دارهم

نعم ببلاغ الله وجناء ذعلب

مذكرة لا يحمل السوط ربها

ولايا من الإشفاق ما يتعصب

كأن ابن آوى موثق تحت زورها

يظفرها طورا وطورا ينيب

إذا ما احزألت في المناخ تلفتت

بمرعوبتي هوجاء والقلب أرعب

إذا انبعثت من مبرك غادرت به

ذوابل صهبا لم يدنهن مشرب

إذا اعصوصبت في أينق فكأنها

بزجرة أخرى في سواهن تضرب

ترى المرو والكذان يرفض تحتها

كما ارفض قيض الأفرخ المتقوب

إذا قطعت أجواز بيد كأنما

بأعلامها نوح المآلي المسلب

تعرض قف بعد قف يقودها

إلى سبسب منها ديا ميم سبسب

إذا أنفذت أحضان نجد رمي بها

أخاشب شما من تهامة أخشب

كتوم إذا ضج المطي كأنما

تكرم عن أخلاقهن وترغب

من الأرحبيات العتاق كأنها

شبوب صوار فوق علياء قرهب

يكالئ من ظلماء ديجور حندس

إذا سار فيها غيهب حل غيهب

فباكره والشمس لم يبد قرنها

بأخدانه المستولغات المكلب

مجازيع في فقر مساريف في غني

سوابح تطفو تارة ثم ترسب

فكان ادراكا واعتراكا كأنه

على دبر يحميه غيران موأب

إذا ما قضت من أهل يثرب موعدا

فمكة من أوطانها والمحصب

طَرَقَتْكَ زَيْنَبُ بَعْدَمَا طال الكَرَى

للشاعرتميم بن أبيّ

هو تميم بن أبيّ بن مقبل من بني العجلان من عامر بن صعصعة أبو كعب.

شاعر جاهلي أدرك الإسلام وأسلم فكان يبكي أهل الجاهلية!! عاش نيفاً ومئَة سنة وعدَّ في المخضرمين ..

طَرَقَتْكَ زَيْنَبُ بَعْدَمَا طال الكَرَى

دُونَ الْمَدِينَةِ ،غَيْرَ ذِي أصْحَابِ

طَرَقَتْ وَقَدْ شَحَطَ الفُؤادُ عَنِ الصِّبَا

وأتى المَشيبُ فحالَ دونَ شَبابي

طَرَقَتْ بِرَيَّا رَوْضَة وَسْمِيَّة

غَرِدٍ بذابِلِها غِنَاءُ ذَبابِ

بقَرارَةٍ مُتراكِبٍ خَطْميُّها

والمِسْكُ خالَطَها ذَكِيُّ مَلاَبِ

خَوْدٌ مُنَعَّمَةٌ كأنَّ خِلافَها

وَهْناً إذا فُرِرَتْ إلى الجِلْبابِ

دِعْصا نَقاً ، رَفَدَ العَجاجُ ترابَهُ

حُرٍّ ، صبيحةَ دِيمَةٍ وذِهابِ

قَفْرٍ ، أحاطَ بهِ غَوارِبُ رَمْلَةٍ

تَثْني النِّعَاجَ فُرُوعُهُنَّ صِعَابِ

ولقدْ أرانا لا يَشيعُ حديثَنا

في الأقْرَبِينَ، وَلاَ إلَى الأجْنَابِ

ولقدْ نعيشُ وواشِيانا بينَنا

صَلِفَانِ، وَهْيَ غَرِيرَةُ الأتْرَابِ

إذْ نحنُ محتفِظانِ عَيْنَ عدوِّنا

في رَيِّقٍ مِنْ غِرَّةٍ وَشبَابِ

تَبْدُو لِغِرَّتِنَا، وَيخَفْى َ شَخْصُها

كطلوعِ قَرْنِ الشمسِ بعدَ ضبابِ

تَبْدُو إذَا غَفَلَ الرَّقِيبُ وَزَايَلتْ

عَيْنُ المُحِبِّ دُونَ كُلِّ حِجَابِ

لفَظَتْ كُبَيْشَةُ قَوْلَ شَكٍّ كَاذِبٍ

مِنْهَا، وَبَعْضُ القَولِ غَيْرُ صَوَابِ

قَوْمِي فَهَلاّ تَسْأَلِينَ بِعِزِّهِمْ

إذْ كَانْ قَوْمُكِ مَوْضِعَ الأذْنَابِ

مُضَرُ التي لا يُستباحُ حَريمُها

والآخِذونَ نَوافِلَ الأنْهابِ

والحائِطونَ فلا يُرامُ ذِمَارُهُمْ

والحافظونَ مَعاقِدَ الأحْسابِ

ما بينَ حِمْصَ وحَضْرَمَوْتَ نَحُوطَهُ

بسيوفِنا مِنْ مَنهَلٍ وتُرابِ

في كُلِّ ذلِكَ يا كُبَيْشَ بُيُوتنَا

حِلقُ الحُلولِ ثوابِتَ الأطّنابِ

آطامُ طِينٍ شَيَّدَتْها فارِسٌ

عندَ السُّيُوحِ رَوافِدٍ وقِبابِ

نرمي النوابحَ كُلّما ظهرَتْ لنا

وَالحَقُّ يَعْرِفُهُ ذَوُوالألْبابِ

بِكتَائِبٍ رُدُحٍ،تَخَالُ زُهَاءَهَا

كالشِّعْبِ أصبحَ حاجِراً بضَنَابِ

وَالزَّاعِبِيَّة رُذَّماً أطْرَافُهَا

وَالخَيْلُ قَدْ طَوِيَتْ إلَى الأصْلاَبِ

مُتَسَرْبِلاَتٍ في الحَدِيدِ تَكُفُّها

شَقِّيَّةٌ يُقْرَعْنَ بالأنيابِ

مُتَفَضِّخَاتٍ بِالحَمِيمِ،كَأنَّمَا

نُضِحَتْ لُبُودُ سُرُوجِهَا بِذِنَابِ

حُوٍ وَشُقْرٍ قَرَّحٍ مَلْبونَةٍ

جُلُحٍ مُبَرِّزَةِ النِّجَارِ عِرَابِ

مِنْ كُلِّ شَوْحَطَةٍ رَفِيعٍ صَدْرُهَا

شَقَّاءَ تَسْبِقُ رَجْعَةَ الكَلاَّبِ

وَكُلِّ أَقْوَدَ أعْوَجِيٍّ سَابِحٍ

عَبْلِ المُقَلَّدِ لاَحِقِ الأَقْرَابِ

يَقِصُ الذّبَابَ بِطَرْفِهِ وَنثِيرِهِ

ويُثِيرُ نَقْعاً في ذَرَى الأظرابِ

وسلاَحِ كلِّ أَشَمَّ شَهْمٍ رابِطٍ

عندَ الحفاظِ مُقلَّصِ الأثوابِ

بالمَشْرَفيِّة كُلّما صالوا بها

قطعَتْ عِظامَ سواعدٍ ورِقابِ

إنِّي صَرَمْتُ مِنَ الصِّبا آرَابي

للشاعر الطرماح

الطِّرمَّاح بن حكيم بن الحكم، من طيء، شاعر إسلامي فحل، ولد ونشأ في الشام، وانتقل إلى الكوفة فكان معلما فيها ، وكان هجاء معاصرا للكميت **صديقا له** :

إنِّي صَرَمْتُ مِنَ الصِّبا آرَابي

وسَلَوْتُ بَعْدَ تعِلّةٍ وتَصابي

أزْمَانَ كُنْتُ إذا سَمِعْتُ حَمامَةً

هَدَلَتْ بَكَيْتُ لِشائِقِ الأطّرابِ

بيتٌ بجيحٌ في قماقمِ طيىء

بَخٍّ لذِلِكَ عِزَّ بَيْتٍ رَابي

بيتٌ سماعةُ والأمينُ عمادهُ

والأثرمان وفارسُ الهلاّبِ

عمي الذي صبحَ الجلائبَ غدوةً

في نَهْرَوانَ بِجْفَلٍ مِطّنابِ

وأبو الفَوَارِسِ مُحْتَبٍ بِفِنَائِهِ

نفرُ النفيرِ، وموئلُ الهرّابِ

فَهُناكَ، إنْ تسْألْ تَجِدْهُمْ والِدي

وهُمُ سَناءُ عَشِيرَتي ونِصَابي

يَهْدِي أوائِلَها، كَأنَّ لِواءَهُ

لَمّا اسْتَمَرَّ بِهِ جَناحُ عُقابِ

وَعلا مُسَيْلِمَةَ الكَذُوبَ بِضَرْبَةٍ

أوْهَتْ مَفارِقَ هامَةِ الكَذّابِ

وعلا سجاحاً مثلها، فتجدلتْ،

ضَرْباً بكُلِّ مُهَنَّدٍ قَضَّابِ

يومَ البُطاحِ، وطيىءٌ تردي بها

جُرْدُ المُتُونِ، لَوَاحِقُ الأقْرابِ

يَصْهَلْنَ للِنَّظَرِ البَعِيدِ كَأَنَّها

عِقْبَانُ يَوْمِ دُجُنَّةٍ وضَبابِ

بل أيها الرجلُ المفاخرُ طيئاً

أعزبتَ لبّكَ أيّما إعزابِ

إِنَّ العَرَارَة والنَّبُوحَ لِطَيِّىءٍ

والعزَّ عندَ تكاملِ الأحسابِ

المراجع

١- الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى، المؤتلف والمختلف: تحقيق عبد الستار أحمد فراج، نشر عيسى البابي الحلب القاهرة، ١٣٨١-١٩٦١.

٢- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسينب بن محمد بن الهيثم القرشي كتاب الأغاني: دار القافلة، بيروت، ط٥، ١٤٠١-١٩٨١ .

٣- البطل، علي، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري [دراسة في أصولها وتطورها] دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٣

٤- البغدادي، عبد القادر بن محمد، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، نشر الخانجي، ط٣، القاهرة ١٤٠٩-ت١٩٨٩.

٥- البهبيتي، نجيب محمد. تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري نشر مؤسسة الخانجي، القاهرة، ١٣٨١ ت١٩٦١ .

٦- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد فقه اللغة المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٥٧-١٩٣٨ .

٧- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر البيان والتبيين تحقيق حسن السندوسي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٦٦-١٩٤٧.

٨- الجمحي، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني [ب،ت]: ١٩٤٧م .

٩- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، جمهرة أنساب العرب تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر ١٩٦٢ .

١٠- الحصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي، زهر الآداب، تحقيق زكي مبارك ومحمد عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، ط٣، القاهرة، ١٣٧٢-١٩٥٣ م.

١١- الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، معجم الأدباء [إرشاد الأريب، إلى معرفة الأديب، تصحيح د.س مرجليوث، القاهرة، ١٩٢٣.

١٢- الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، ، معجم البلدان تحقيق محمد أمين الخانجي [بقراءته على أحمد بن الأمين الشنقيطي] القاهرة، ١٣٢٤، ت١٩٠٦.

١٣- ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة ، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨١

١٤- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١.

١٥- الرافعي، مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٧٣-١٩٥٣ .

١٦- ابن رشيق، أبو علي الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، نشر المكتبة التجاية الكبرى، القاهرة، ١٣٨٣-١٩٦٣ م .

١٧- الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين، شرح المعلقات السبع دار بيروت، بيروت ١٤٠٦-١٩٨٦ م.

١٨- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي [العصر الجاهلي] دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠ .

١٩- ابن قتيبة، أبو محمد عبد اللّه بن مسلم، الشعر والشعراء. دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤ .

٢٠- القرشي، أبو زيد بن أبي الخطاب، جمهرة أشعار العرب ،دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٨-١٩٧٨ .

٢١- القرطاجني، أبو الحسن حازم، منهاج البلغاء، وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣ ن١٩٨٦ .

٢٢- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد ، الكامل في اللغة والأدب المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة [ب.ت]

٢٣- المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة، المكتبة العربية القاهرة؟ [ب.ت]

٢٤- المزرباني، أبو عبيد اللّه محمد بن عمران، الموشح ، تحقيق علي البجاوي، دار نهضة مصر، ١٩٦٥.

٢٥- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري، لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت [ب.ت] .